

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

المحتويات

٧

١٣

٢٣

٣٥

٤٣

٥٣

٦١

فَاتِحَةُ الْقِصَّةِ

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

الفصل الثاني

الْفَصْلُ الثَّلَاثُ

الفصل الرابع

أعلام الحيوان

أُسْرَةُ الْحَيَوَانَ

فَاتِحَةُ الْقِصَّةِ

(١) نَمُودَجُ الْحُسْنِ

كَانَتْ أَبْرَعَ بَنَاتِ جِنْسِهَا جَمَالًا، وَأَبْدَعَهُنَّ قَوَامًا (أَحْسَنَهُنَّ قَامَةً وَتَكْوِينًا وَاعْتِدَالَ جِسْمٍ)،
وَأَظْرَفَهُنَّ مَنْظَرًا. كَانَتْ — لِيَسَامَتِهَا، وَتَأَلَّقَ عَيْنَيْهَا، وَدَقَّةَ أَنْفِهَا الصَّغِيرِ الْوَرْدِيِّ، وَرَشَاقَةَ
أَقْدَامِهَا الْمُبْطِنَةِ بِالشَّعْرِ — مِثَالًا لِلْحُسْنِ وَنَمُودَجًا لِلْمَلَاخَةِ.



زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

لَوْ رَأَيْتَهَا — وَهِيَ تَحْتَالُ وَتَتَبَخَّرُ فِي جِلْبَابِهَا الْأَبْيَضِ الْأَبْيَقِ — لَمَا تَمَالَكَتَ مِنْ فَرْطِ
الإِعْجَابِ بِهَا، وَالْإِفْتِتَانِ بِمَنْظَرِهَا الرَّائِعِ الْأَخْأَذِ.
كَانَ أَشْهَى غِدَائِهَا: الْبُرْسِيمُ.
كَانَتْ تُؤَثِّرُ هَذَا الطَّعَامَ (تُفَضِّلُهُ) عَلَى الْوَانَ الْأَطْعِمَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأُخْرَى.
لَا تَعْجَبُ إِذَا أَطْلَقَ عَلَيْهَا صَوَاحِبُهَا وَرَفِيقَاتُهَا لَقَبَ «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ».
كَانَتْ — بَيْنَ الْأَرَانِبِ — فِي مِثْلِ جَمَالِ الزَّهْرَةِ الَّتِي يَزْدَانُ بِهَا نَبَاتُ الْبُرْسِيمِ، وَهُوَ —
كَمَا حَدَّثْتِكِ — أَشْهَى طَعَامٍ تُحِبُّهُ الْأَرَانِبُ.

(٢) الْأُسْرَةُ السَّعِيدَةُ

كَانَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» — تِلْكَ الْأَرْزَنْبَةُ الصَّغِيرَةُ الظَّرِيفَةُ الشَّقْرَاءُ — تَعِيشُ مَعَ أَبَوَيْهَا،
وَأُخْتَيْهَا، وَإِخْوَتِهَا الثَّلَاثَةِ، فِي جُبُرٍ عَمِيقٍ، حَفَرَهُ أَبُوهَا «الْحَزْرُ» فِي سَفْحٍ؛ أَعْنِي: مَكَانًا
مُنْخَفِضًا — اخْتَارَهُ لِسُكْنَاهُ — يَكْتَنِفُهُ سِيَاحٌ (يُحِيطُ بِهِ سُورٌ) مِنَ الْأَعْشَابِ، بِالْقُرْبِ مِنْ
بَعْضِ التَّلَالِ الْمُشْمِسَةِ الرَّمْلِيَّةِ.
كَانَ «الْحَزْرُ» خَيْرَ مِثَالٍ لِرَبِّ الْأُسْرَةِ الْبَارِّ الشَّفِيقِ.
كَانَتْ زَوْجَتُهُ «عِكْرِشَةُ» تُحِبُّهُ حُبًّا جَمًّا، لِإِخْلَاصِهِ وَدِمَائَتِهِ خُلِقِهِ (سُهُولَتِهِ وَلِينِ طَبْعِهِ).
كَانَ «الْحَزْرُ» — فِي الْحَقِيقَةِ — جَدِيرًا بِكُلِّ إِعْجَابٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدَّخِرْ وَسْعًا فِي إِسْعَادِ
أُسْرَتِهِ: كَانَ يَقْضِي وَقْتَهُ كُلَّهُ مَعَ أَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ، فَلَا يَفَارِقُهُمْ إِلَّا لِضُرُورَةٍ قَاهِرَةٍ. لَا عَجَبَ
إِذَا نَعِمَتْ هَذِهِ الْأُسْرَةُ بِسَعَادَةٍ نَادِرَةٍ قَلَّمَا يَظْفَرُ بِهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

(٣) مَرَضٌ «عِكْرِشَةُ»

لَمْ يَكُنْ يَنْغُصُ عَلَيْهِمْ سَعَادَتَهُمْ، وَيُكَدِّرُ صَفْوَهُمْ، إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ، هُوَ مَرَضٌ «عِكْرِشَةُ»: أُمَّ
الْأَرَانِبِ وَزَوْجَةِ «الْحَزْرِ».
كَانَتْ تَشْكُو السَّقَامَ وَلَا تَسْتَطِيعُ النُّهُوضَ.
أَضْطُرَّ زَوْجُهَا النَّبِيلُ إِلَى تَعَهُدِ أَبْنَائِهِ، وَالسَّهْرِ عَلَى رَاحَتِهِمْ.

(٤) نَشَأَةُ «الْحُرْزِ»

كَانَ «الْحُرْزُ» قَدْ جَابَ الْبِلَادَ وَطَافَ بِهَا — فِي أَوَّلِ شَبَابِهِ — وَعَاشَرَ النَّاسَ، وَكَتَسَبَ أَكْرَمَ مِيزَانَتِهِمْ، وَجَمَعَ — إِلَى إِخْلَاصِهِ وَوَفَائِهِ — تَجْرِبَةً نَادِرَةً، وَثِقَافَةً وَاسِعَةً. عَرَفَ كَيْفَ يُنْشِئُ بَنِيَهُ أَحْسَنَ تَنْشِئَةٍ، وَيُبَصِّرُهُمْ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ وَأَنْوَاعِهَا. نَشَأَ «الْحُرْزُ» — مُنْذُ حَدَاتِهِ — فِي بَيْتِ زَارِعٍ يَعِيشُ فِي إِحْدَى الْقُرَى النَّائِيَةِ الْبَعِيدَةِ.

كَانَتْ حَفِيدَةُ الزَّارِعِ تُحِبُّهُ أَشَدَّ الْحُبِّ: لَا تَكَادُ تُفَارِقُهُ لِشِدَّةِ الْأُلْفَةِ وَالْحُبِّ وَالْإِيْنَانِ بَيْنَهُمَا.

هَرَبَ «الْحُرْزُ» مِنْ بَيْتِ الزَّارِعِ، حِينَ رَأَى رَيْبَةَ الْبَيْتِ تَذُبُّحَ أَحَدِ رِفَاقِهِ (أَصْحَابِهِ)، لِتَهْيِئِ لِرُؤُوسِهَا غَدَاءَهُ. لَمْ يُطِقِ الْبَقَاءَ فِي الْبَيْتِ — مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ — وَهَجَرَ إِلَى حَيْثُ يَعِيشُ مَعَ أُسْرَتِهِ.

(٥) اللَّيْلَةُ الْقَمْرَاءُ

لَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، اجْتَمَعَتِ الْأُسْرَةُ فِي مَكْوَمِهَا (جُحْرِهَا) قَالَ «الْحُرْزُ» لِأَبْنَائِهِ: «هَلْ أَنْتُمْ مُعِدُّونَ؟ فَإِنَّا عَلَى الرَّحِيلِ عَاذِمُونَ.»

أَسْرَعَ «أَبُو نَبِيهِ» — وَهُوَ أَكْبَرُ أَبْنَاءِ «الْحُرْزِ» — إِلَى أُمِّهِ «عِكْرِشَةَ» لِيُودِعَهَا قَبْلَ سَفَرِهِ. كَانَتْ مُمَدَّدَةً فِي رُكْنٍ مُنْزَوٍ مِنَ الْجُحْرِ، تُعَانِي آلَامَ الْمَرَضِ.

سَأَلَهَا مَحْزُونًا لِسَقَامِهَا: «كَيْفَ أَمْسَيْتِ، يَا أُمَاهُ؟»

أَجَابَتْهُ: «لَا زِلْتُ أُعَانِي آلَامَ الْمَرَضِ. إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ أُمَّهُمَ بِالْقِيَامِ، فَتَكَادُ سَاقَايَ لَا تَحْمِلَانِي لِضَعْفِهِمَا!»



زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «كَلَّا. لَا تَقُولِي ذَلِكَ، يَا أُمَّاهُ!»
 أَقْبَلَتْ عَلَى أُمِّهَا تُؤَسِّيَهَا (تُصَبِّرُهَا)، وَتُمِرُّ لِسَانَهَا عَلَى أُذُنَيْهَا — فِي حُنُوٍّ وَرَفْقٍ —
 وَتُسَرِّي (تُذَهَبُ) عَنْهَا مَا تُكَابِدُهُ مِنْ أَلَمٍ، وَتُبَشِّرُهَا بِقُرْبِ شِفَائِهَا.
 رَأَى «الْحَزْرُ» أَنَّ الْوَقْتَ يَمُرُّ سَرِيعًا، فَصَاحَ فِي أَبْنَائِهِ أَمْرًا: «هَلُمُّوا أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ. لَقَدْ
 أَرْسَلَ الْقَمَرُ — فِيمَا أَعْتَقَدُ — أَشْعَثَهُ الْفَاتِنَةَ عَلَى الدُّنْيَا. لَا بَدَّ أَنْ نَتَعَشَّى. لَا تَضِيعُوا وَقْتَكُمْ
 عَبَثًا. سَأَرِيكُمْ: أَيُّ حَقْلٍ مِنْ حُقُولِ الْبُرْسِيمِ قَدْ وُفِّقَتْ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ؟ إِنَّهُ حَقْلٌ حَافِلٌ
 (مُحْتَشِدٌ مَمْلُوءٌ) بِذَلِكُمُ الطَّعَامِ الشَّهِيِّ، السَّائِغِ الْهَنِيِّ، الَّذِي يَتَحَلَّبُ رِيقَنَا (يَسِيلُ لِعَابَنَا)
 شَوْقًا إِلَيْهِ. لَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَهُوَ مِنْ لَذَائِدِ الْأَطْعِمَةِ الَّتِي تَصْبُو (تَمِيلُ) إِلَيْهَا نَفُوسُنَا.»



صَاحَ الْأَبْنَاءُ يُودِعُونَ أُمَّهُمْ — فِي جَزَعٍ وَأَسْفٍ — ثُمَّ حَرَجُوا مِنْ جُحْرِهِمْ، وَرَفَعُوا
 أَدَانَهُمْ وَأَذْنَابَهُمْ فِي الْهَوَاءِ، وَأَسْلَمُوا سُوقَهُمْ لِلرِّيحِ، سَاقًا بَعْدَ سَاقٍ، وَهُمْ يَقْفِرُونَ فِي رَشَاقَةٍ
 وَخِفَةٍ عَجِيبَتَيْنِ.

وَقَفُوا عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ يَنْتَظِرُونَ مَقْدَمَ أَبِيهِمْ «الْحَزْرُ» لِيُرْشِدَهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقْلِ.
 كَانَ «الْحَزْرُ» — حِينئِذٍ — يُؤَسِّي (يُعَزِّي) زَوْجَتَهُ «عِكْرِشَةَ» الْمَرِيضَةَ، وَيُوصِيهَا
 بِالصَّبْرِ وَالتَّجَلُّدِ، وَيَتَمَنَّى لَهَا نَوْمًا هَادِنًا.
 شَكَرَتْ لَهُ «عِكْرِشَةُ» ذَلِكَ الْعَطْفَ، وَتَمَنَّتْ لَهُ السَّلَامَةَ فِي رِحْلَتِهِ (سَفَرِهِ)، حَتَّى يَصِلَ
 إِلَى رِحْلَتِهِ (الْجَهَةِ الَّتِي يَقْصِدُهَا).

حَانَتْ مِنْ «الْحَزْرُ» التِّفَاتَةُ. رَأَى «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» لَا تَزَالُ بَاقِيَةً فِي الْجُحْرِ. قَالَ لَهَا:
 «مَا بِالْكَ لَمْ تَذْهَبِي مَعَ إِخْوَتِكَ؟ أَلَا تُحِبِّينَ أَنْ تُشْرِكِينَا فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ الْجَمِيلَةِ؟»
 قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «كَلَّا، يَا أَبَتِ. لَنْ أَتْرَكَ أُمَّي الْمَرِيضَةَ وَحِيدَةً فِي هَذَا الْجُحْرِ!»
 قَالَ لَهَا «الْحَزْرُ»: «بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، يَا عَزِيزَتِي. إِنِّي مُكَافِئُكَ — عِنْدَ عَوْدَتِي — بِمَا
 يَسُرُّكَ. فَوَدَاعًا.»

فَاتِحَةُ الْقِصَّةِ

خَرَجَ «الْحُزْنُ». رَأَى أَبْنَاءَهُ يَنْتَظِرُونَ مَقْدَمَهُ عَلَى مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ مِنَ الْجُبْرِ. لَمَّا رَأَوْهُ مُقْبِلًا هَتَفُوا فَرِحِينَ. تَقَدَّمَ «الْحُزْنُ»، وَتَبِعَهُ بَنُوهُ. كَانُوا يَقْفِزُونَ فِي الْهَوَاءِ مَسْرُورِينَ.

الفصل الأول

(١) عَلَى الْحَشَائِشِ

قَالَتْ «عِرْشَةُ» لِبِنْتِهَا «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ»: «مَا بَالُكَ لَمْ تَذْهَبِي مَعَ إِخْوَتِكَ وَأَبِيكَ إِلَى حَقْلِ الْبُرْسِيمِ؟»

أَجَابَتْهَا حَانِيَّةُ (عَاطِفَةٌ) مُتَوَدِّدَةً: «كَلَّا يَا أُمَّاهُ. مَا أَنَا بِجَائِعَةٍ. وَلَسْتُ أُوَثِّرُ (لَا أُخْتَارُ) شَيْئًا فِي الدُّنْيَا عَلَى الْبَقَاءِ إِلَى جَانِبِ أُمِّي الْحَبِيبِ. هَلُمَّي (أَقْبِلِي). نَامِي عَلَى هَذِهِ الْحَشَائِشِ اللَّيِّنَةِ الرَّقِيقَةِ؛ لَعَلَّهَا تُخَفِّفُ شَيْئًا مِنْ أَوْجَاعِكَ، وَتَزِيلُ آلامَ سَاقِكَ.»

لَمْ تَتَرَدَّدْ «عِرْشَةُ» فِي ذَلِكَ.
أَعَانَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ». أَقَامَتْهَا حَتَّى أَجْلَسَتْهَا عَلَى الْحَشَائِشِ.
جَلَسَتْ إِلَى جَانِبِهَا صَامِتَةً (سَاكِتَةً).

(٢) حُبُّ الْقِصَصِ

سَأَلَتْهَا «عِرْشَةُ»: «فِيمَ تَفَكَّرِينَ يَا عَزِيزَتِي؟»
أَجَابَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «أَنْتِ أَدْرِي بِمَا يَشْغَلُنِي، يَا أُمَّاهُ. لَكِنَّكَ مَرِيضَةٌ مُتَعَبَةٌ.
لَيْسَ مِنَ الْبُرِّ بِكَ أَنْ أَزِيدَكَ تَعَبًا.»

قَالَتْ لَهَا «عِرْشَةُ»: «أَهْ. لَقَدْ عَرَفْتُ مَا تَطْلُبِينَ! أَلَسْتَ تُرِيدِينَهَا قِصَّةً؟»
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «لَمْ تَعْدِي (لَمْ تَتَجَاوَزِي) مَا فِي نَفْسِي، يَا أُمَّاهُ. لَيْسَ أَشْهَى إِلَيَّ مِنْ سَمَاعِ قِصَصِكَ الْمُعْجَبَةِ.»



قَالَتْ «عَكْرَشَةُ»: «اجْلِسِي أَمَامَ نَاطِرِي لِأَمْتَعَ بِرُؤْيَتِكَ، وَيَبْهَجَ نَفْسِي جَمَالُ عَيْنِكَ الْبَرَاقَتَيْنِ. إِنِّي قَاصَّةٌ عَلَيْكَ مَا وَقَعَ لِأَحَدٍ أَشْقَائِكَ، مُنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ، لَا أَحْسَبُهُ يَقُولُ عَنِ اثْنِي عَشَرَ شَهْرًا.»

(٣) الطُّفْلُ الصَّغِيرُ

أَنْصَتَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» (سَكَتَتْ مُسْتَمِعَةً) لِحَدِيثِهَا. أَرْهَفَتْ أُذُنَيْهَا لِسَمَاعِ الْقِصَّةِ. اسْتَأْنَفَتْ «عَكْرَشَةُ» قَائِلَةً: «فِي مَسَاءِ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ خَرَجْتُ وَمَعِيَ وَلَدِي «أَبُو نَبْهَانَ». لَعَلَّهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ أَخْرَجْتُهُ فِيهَا مِنَ الْجَحْرِ. ذَهَبْنَا إِلَى حَقْلٍ نَاءٍ (بَعِيدٍ) مِنْ حُقُولِ «السَّعْتَرِ». كَانَ «أَبُو نَبْهَانَ» — بِكْرُ أَوْلَادِي — مُدَلِّلاً (مَحْبُوبًا يَلِطْفُ وَتَتْرَكَ لَهُ الْحُرِّيَّةُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ). كَانَ — إِلَى ذَلِكَ — عَنِيدًا شَادًا. أَلَا تَفْهَمِينَ مَا أَعْنِيهِ؟ أَعْنِي: أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ وَفَوْقَ أَهْوَائِهِ، لَا يَعْمَلُ إِلَّا مَا يُرِيدُ. إِذَا عَنَّتْ (خَطَرَتْ) لَهُ فِكْرَةٌ خَاطِئَةٌ، لَمْ يَسْتَشِرْ أَحَدًا، وَلَمْ يَخْشَ كَائِنًا كَانَ، وَلَمْ يَبَالِ الْعَوَاقِبَ. إِذَا أَجْمَعَ إِخْوَانَهُ وَخُلَصَاؤُهُ (الْمُخْلِصُونَ لَهُ) عَلَى فَسَادِ خُطَّتِهِ، وَخَطَا طَرِيقَتِهِ، هَزَأَ بِهِمْ، وَسَخِرَ مِنْهُمْ، وَلَمْ يُصْغِ (لَمْ يَسْتَمِعْ) إِلَى نُصْحِهِمْ،

وَأَصْرَّ عَلَىٰ إِنْفَازِ مَا يُرِيدُ، فِي لَجَاجَةٍ وَإِلْحَاحٍ وَعِنَادٍ. جَرَّتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْحَمَاقَةُ أَشَدَّ النَّكَبَاتِ
«....»

(٤) فِي سَبِيلِ الطَّعَامِ

سَكَتَتْ «عَكْرَشَةُ». تَأَوَّهَتْ مِنْ أَوْجَاعِهَا. قَالَتْ: «آي! آي! سَاقِي الْيُمْنَى ... شَدَّ مَا تُؤْمِنِي
سَاقِي الْيُمْنَى! ... أَلَا تُسَاعِدِينِنِي عَلَى الْحَرَكَةِ لِأَضْطَجَعَ عَلَى جَنْبِي الْإَيْسَرِ؟»
لَبَّتْ «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ» طَلِبَهَا. شَكَرَتْ لَهَا «عَكْرَشَةُ» صَنِيعَهَا، وَحَمِدَتْ مَعْرُوفَهَا.
قَالَتْ لَهَا: «لَسْتُ أَذْكَرُ أَيْنَ انْتَهَيْتُ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ؟ أِهْ ... ذَكَرْتُ الْآنَ كُلَّ شَيْءٍ ...
حَدَّثْتُكَ أَنَّ «أَبَا نَبْهَانَ» كَانَ غَرِيبَ الطَّبْعِ. لَمْ يَشَأِ الْبَقَاءَ مَعَنَا فِي حَقْلِ «السَّعْتَرِ»: يَقْضِمُ
مِنْهُ (يَكْسِرُ بِأَطْرَافِ أَسْنَانِهِ) مَا يَشْتَهِي، وَيَأْكُلُ مِنْ طَيِّبَاتِهِ كَمَا نَأْكُلُ. أَبِي إِلَّا أَنْ يَتَسَلَّلَ
(يَتَنَقَّلُ مُسْتَخْفِيًا) إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ. ابْتَعَدَ عَنَّا بَعْدَ قَلِيلٍ. لَعَلَّهُ كَانَ يَبْحَثُ عَنْ طَعَامٍ آخَرَ.

(٥) صَرْخَةُ الْمُسْتَعِيثِ

إِنِّي لَأَقْضِمُ سَاقًا مُزْدَهَرَةً مِنَ النَّبَاتِ، إِذْ دَوَّتْ فِي أُذُنِي صَرْخَةُ مُزْعَجَةٍ. أَجَلْتُ بَصْرِي (دُرْتُ
بِعَيْنِي) فِي أَوْلَادِي لِأَحْصِيهِمْ (لَأَعَدَّهُمْ). لَمْ أَجِدْ بَيْنَهُمْ «أَبَا نَبْهَانَ». قَفَزْتُ عَادِيَةً (جَارِيَةً)
— يَمَنَةً وَيَسْرَةً — وَأَنَا أُنَادِيهِ بِأَعْلَى صَوْتِي: «يَا أَبَا نَبْهَانَ! إِلَيَّ يَا أَبَا نَبْهَانَ».
سَمِعْتُهُ يَعْوْثُ، طَالِبًا النَّجْدَةَ.

(٦) بَيْنَ مَخْلَبَيْنِ

أَعَزُّزُ عَلَيَّ مَا لَقِيتَ مِنَ الْأَلَامِ، يَا «أَبَا نَبْهَانَ»!
أَتَعْرِفِينَ مَا رَأَيْتُ — حِينْتِذِ — يَا «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ»؟
رَأَيْتُ مَا فَرَعَنِي وَهَالَنِي وَكَادَ قَلْبِي يَنْفَطِرُ لَهُ (يَنْشَقُّ): أَبْصَرْتُ وَوَلَدِي الْعَزِيزَ بَيْنَ
مَخْلَبَيْ سَبْعٍ مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ (طَائِرٍ مِنْ أَكَلَةِ اللُّحُومِ) ... لَكَ اللَّهُ، يَا وَوَلَدِي. حَاوَلْتُ —
جُهِدَكَ — أَنْ تُفْلِتَ مِنْ مَخْلَبِيهِ، لَمْ تَسْتَطِعْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.

كُنْتُ تَسْتَصْرِخُ أُمَّكَ الْحُنُونَ الْمُسْكِينَةَ، فَلَا تَقْدِرُ عَلَى إِنْقَادِكَ مِنْ بَرَاثِنِ الرَّدَى (أَصَابِعِ الْمَوْتِ)!

هَمَمْتُ — يَا «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ» — أَنْ أُسْرِعَ لِجَدَّتِيهِ. لَكِنَّ سَاقِي لَمْ تَقْوِيَا. لَمْ أُسْتَطِعِ السَّيْرَ. انْتَضَمْتَنِي الرَّعْدَةُ (شَمَلْتَنِي الرَّعْشَةُ) سَرَتْ فِي جِسْمِي. تَفَكَّكْتَ أَوْصَالِي. لَمْ أَخْطُ — مِنْ مَكَانِي — خُطْوَةً وَاحِدَةً. وَقَفْتُ — حَيْثُ كُنْتُ — وَقَلْبِي يَكَادُ يَتَمَرَّقُ مِنَ الْأَلَمِ. دَنَتْ السَّاعَةُ الْمَرْهُوبَةُ الْهَائِلَةُ

(٧) دَمْعَةُ الْحُزْنِ

لَمَّا وَصَلَتْ «عِكْرِشَةُ» إِلَى هَذَا الْحَدِّ الْمُؤْتِرِ، هَاجَتْهَا الدُّكْرَى. وَقَفَتْ عَنِ الْكَلَامِ. كَفَّكَفَتْ (مَسَحَتْ) بِيَدِهَا دَمْعَةً مُتَحَدَّرَةً عَلَى أَنْفِهَا.

أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» تُوَسِّئُهَا، وَتَقُولُ لَهَا: «كَفَى.. كَفَى، يَا أُمًّا!.. لَا تُتَمِّمِي هَذِهِ الْقِصَّةَ، مَا دَامَتْ تُثْبِرُ أَشْجَانِكَ وَهُمُومِكَ.»

تَجَلَّدَتْ «عِكْرِشَةُ». قَالَتْ لِابْنَتِهَا مُتَأَسِّبَةً (مُتَعَزِّبَةً مُتَصَبِّرَةً): «إِنَّ قَضَاءَ اللَّهِ مُحْتَوِمٌ، لَا سَبِيلَ إِلَى دَفْعِهِ. إِنِّي مُبِمَّةٌ مَا بَدَأْتُهُ. أَنْصِتِي إِلَيَّ. أذْكَرِي هَذَا الْحَدِيثَ طُولَ عُمْرِكَ. إِنَّ فِيهِ دَرْسًا نَافِعًا لَكَ، وَعِبْرَةً لِكُلِّ مَنْ يَعْتَبِرُ. السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بِنَفْسِهِ (عَرَفَ الْعَوَاقِبَ وَتَذَكَّرَهَا بِمَا يَحْدُثُ لِسِوَاهُ)، وَالشَّقِيُّ مَنْ وَعِظَ بِنَفْسِهِ (عَرَفَ الْعَوَاقِبَ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ السُّوءِ وَالْأَذَى).»

(٨) مَصْرَعُ «أَبِي نَبْهَانَ»

سَكَنْتُ «عِكْرِشَةَ» لِحُظَّةً. اسْتَأْنَفْتُ قَائِلَةً: «رَأَيْتُ لِهَذَا السَّبْعِ الْفَاتِكِ مِنْقَارًا أَعْقَفَ (مُلْتَوِيًّا) وَعَيْنَيْنِ وَاسْعَتَيْنِ مُسْتَدِيرَتَيْنِ. عَلِمْتُ أَنَّهُ عَدُونَا اللَّدُودُ: «أُمُّ الْخَرَابِ»!

رَأَيْتُ «أُمُّ الْخَرَابِ» — أَعْنِي: تِلْكَ الْبُومَةَ الْفَرَّاسَةَ الْعَادِيَةَ (الظَّالِمَةَ) — تَرْتَفِعُ بِوَلَدِي فَجَاءَةً. رَأَيْتُهَا تَضْرِبُهُ بِمِنْقَارِهَا الْحَادِّ ضَرْبَةً وَاحِدَةً فَتُحْمِدُ أَنْفَاسَهُ.

رَأَيْتُ «أَبَا نَبْهَانَ» يَكْفُفُ عَنْ صُرَاخِهِ: مَالَ رَأْسُهُ. تَخَلَّجَ ذَنْبُهُ (اضْطَرَبَ وَتَحَرَّكَ)! فَاصَتْ رُوحُهُ. أَصْبَحَ جُنَّةً هَامِدَةً.

أَمَسَّكَتْ بِهِ «أُمُّ الْحَرَابِ» بَيْنَ مَخْلَبَيْهَا. فَتَحَتْ مِنْقَارَهَا الْهَائِلَ. ابْتَلَعَتْهُ. غَاصَ فِي جَوْفِهَا.»

(٩) حُزْنُ الْعَشِيرَةِ



اسْتَأْنَفْتُ «عِكْرَشَةَ»، قَائِلَةً: «ظَلَلْتُ أَبِي - بَيْنَ الْأَعْشَابِ - زَمَنًا طَوِيلًا، حَتَّى نَفَدْتُ دُمُوعِي (فَنَيْتُ). رَجَعْتُ إِلَى الْحَقْلِ مَحْزُونَةً كَاسِفَةَ الْبَالِ، تَغْشَانِي الْهُمُومُ. أَخْبَرْتُ عَشِيرَتِي

بِذَلِكَ الْحَادِثِ الْجَلِيلِ (الْعَظِيمِ). تَمَلَّكَ الْأَسْفُ قُلُوبَهُمْ. بَكَوْا لِمُصَابِي فِي عَزِيزِي الْحَبِيبِ:
«أَبِي نَبَّهَانَ».
دَنَا مِنِّي عَمُّكَ الشَّيْخُ «أَبُو نَابِهٍ». ظَلَّ يُؤَسِّسِنِي. هُوَ — كَمَا تَعَلَّمِينَ — شَيْخٌ مُجَرَّبٌ
بَصِيرٌ.»

(١٠) خُطْبَةُ «أَبِي نَابِهٍ»



وَقَفَ عَلَى سَاقَيْهِ، أَشَارَ بِيَدَيْهِ يَخْطُبُ الْأَرَانِبَ فِي فَصَاحَةٍ وَطَلَّاقَةٍ. كَانَ يَقُولُ:

عَزِيَّاتِي وَبَنَاتِي وَأَبْنَائِي:

إِنَّ قَلْبِي حَزِينٌ يَكَادُ يَنْفِطِرُ مِنَ الْأَسَى وَالْأَلَمِ. إِنَّ «أَبَا نَبْهَانَ» — وَهُوَ ابْنُ أَخِي الْعَزِيْزِ — كَانَ مِثَالَ الذَّكَاءِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثَالَ الطَّاعَةِ. كَانَ — لَوْلَا عِنَادُهُ — وَاعِدًا (مَرْجُوًّا الْمُسْتَقْبَلِ). لَوْ عَاشَ لِأَصْبَحَ فَخَارَ أُسْرَتِنَا، وَمَنَاطَ رَجَائِنَا (مَعْقِدَ أَمَلِنَا الَّذِي نَتَعَلَّقُ بِهِ). لَكِنَّ الْقَضَاءَ عَاجَلُهُ. لَيْسَ لَنَا مِنْ حِيلَةٍ فِي رَدِّ عَادِيَةِ الرَّدَى وَدَفْعِ غَائِلَةِ الْمَوْتِ (هُجُومِهِ)؛ فَلَنْبِكِهِ مُتَرْحِمِينَ عَلَيْهِ.

بَكَتْ أُسْرَةُ الْأَرَانِبِ مَصْرَعَ «أَبِي نَبْهَانَ» وَفَاجَعَتْهُ.
اسْتَأْنَفَ «أَبُو نَابِهٍ» قَائِلًا:

وَأَنْتُمْ يَا أَبْنَاءَ أَخِي، وَيَا بَنَاتِ شَقِيْقِي الْعَزِيْزِ:

أَلَمْ تَعْتَبِرُوا بِهَذَا الْمَصْرَعِ الْمُؤْلِمِ؟ أَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الْعِنَادِ، وَالْإِنْفِرَادِ بِالرَّأْيِ، وَاحْتِقَارِ نَصِيْحَةِ النَّاصِحِينَ؟ فَلَيْكُنْ لَكُمْ فِي هَذَا الْمَصَابِ دَرْسٌ وَعِظَةٌ، وَلِتُعَاهِدُونِي — جَمِيعًا — عَلَى أَنْ تَكُونُوا مِثَالَ الطَّاعَةِ، وَأَنْ تَعِيْشُوا كَمَا يَعِيْشُ الْعُقَلَاءُ الْمُتَنَبِّصُونَ؛ حَتَّى تَأْمَنُوا مِثْلَ هَذِهِ الْحَاتِمَةِ الْمُفْرَعَةِ.

(١١) نَصِيْحَةُ الْمُجْرِبِينَ

كَانَ الْأَرَانِبُ الصَّغَارُ يُصْعُونَ (يَسْتَمْعُونَ) إِلَى كَلَامِ «أَبِي نَابِهٍ» وَيُنْصِتُونَ إِلَى نَصِيْحَتِهِ، بِقُلُوبٍ وَاعِيَةٍ. أَرْهَفُوا آذَانَهُمْ، فَلَمْ تَقْلُتْ مِنْهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يَتَحَرَّكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَقَلَّ حَرَكَةٍ.

قَالَ «أَبُو نَابِهٍ» مُسْتَأْنِفًا:

مَتَى حَلَلْتُمْ حَقْلًا مِنْ حُقُولِ الْكُرْنِبِ، فَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ لَذَّةُ الطَّعَامِ عَنِ التَّبَصُّرِ وَالنِّيْقِظَةِ، وَلِتُرْهَفُوا أَسْمَاعَكُمْ حَتَّى لَا تَدْهَمَكُمْ «أُمَّ الصَّبِيَّانِ»: تِلْكَمُ الْبَوْمَةُ الْفَاتِكَةُ الْعَادِيَةُ (الظَّالِمَةُ) الَّتِي قَتَلَتْ شَقِيْقَكُمْ. إِنَّهَا تَنْحَيُّنِ الْفُرْصَ لِقَتْلِكُمْ، وَتَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَابِرُ؛ وَهِيَ أَلَدُّ أَعْدَائِنَا.

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

إِذَا سَمِعْتُمْ صَوْتَهَا الْكَرِيهَ وَهِيَ تَصِيحُ «وُو - وُو!» فَاخْتَبِئُوا - مِنْ
فَوْرِكُمْ فَإِنَّهَا حَادَّةُ الْبَصْرِ وَالسَّمْعِ.

وَهِيَ تَرَى وَتَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَهْبِطُ عَلَيْنَا فَجَاءَتْ دُونَ أَنْ نَسْمَعَ لَهَا حَرَكَهً،
وَتَقْتُلُنَا بِنَقْرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مَنَقَارِهَا الْحَادِّ الْأَعْقَفِ (الْمُنْحَنِيِّ)، وَتَبْتَلِعُنَا دَفْعَةً
وَاحِدَةً: شَعْرًا وَلَحْمًا وَدَمًا وَعَظْمًا!

وَهِيَ تَقْتَنِصُنَا - مَعْشَرَ الْأَرَانِبِ - كَمَا تَقْتَنِصُ الْفِرَّانَ وَالْجِرْدَانَ وَبَنَاتِ
عَرْسٍ، وَغَيْرَ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْحَيَوَانِ.

وَطَرِيقُهَا أَنْ تَبْتَلِعَ الْفَرِيسَةَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَتَحْرُزُهَا فِي جَوْفِهَا حَتَّى يَبْمَ
هَضْمُهَا، ثُمَّ تَلْقِي بِعِظَامِهَا وَفَرُوهَا - أَوْ رِيشِهَا - فِي الْعُشِّ؛ لِتَتَّخِذَ هَذِهِ
الْبُومَةُ مِنْهَا أَتَانًا لِبَيْتِهَا، وَفِرَاشًا لَهَا وَلِبَنَاتِهَا.

(١٢) عِقَابُ الشَّرِّهِ



هُنَا بَدَا التَّعَبُ عَلَى أَسَارِيرِ حَاطِبِينَا (حُطُوطِ جَبِينِهِ). وَقَفَ عَنِ الْكَلَامِ لِحُظَّةٍ. أَجَالَ بَصْرَهُ،
وَأَدَارَ عَيْنَيْهِ فِينَا. كُنَّا نُحِيطُ بِهِ مُنْصِتِينَ إِلَى نُصْجِ الثَّمِينِ وَسَطِ الْحَقْلِ. لَمَعَتْ عَيْنَاهُ فِي
ضَوْءِ الْقَمَرِ. بَدَا شَعْرُهُ الْأَبْيَضُ - حِينْتِيذٍ - فَمَارَهُ (أَظْهَرَهُ) مِنَ الْأَرَانِبِ الرَّمَادِيَّةِ الْأُخْرَى.
اسْتَأْنَفَ عَمَّكَ قَائِلًا:

لِلْبُومَةِ — كَمَا لِأَمْثَالِهَا مِنَ الْجَوَارِحِ، أَعْنِي: سِبَاعَ الطَّيْرِ كَالصَّقْرِ وَالْحِدَاةِ —
 مَنقَارٌ مَعْقُوفٌ (شَدِيدُ الْإِنْحِنَاءِ). وَهُوَ — عَلَى قَصْرِهِ — غَلِيظٌ مَتِينٌ.
 مَخَالِبُهَا — كَمَا حَدَّثَنَا النَّقَاتُ الْعَارِفُونَ — قَوِيَّةٌ قَابِضَةٌ مُنْحَنِيةٌ، تُنْشِبُهَا
 (تُعَلِّقُهَا) فِي الْجُدْرَانِ وَعُصُونِ الشَّجَرِ.
 مَتَى شَبِعَتِ الْبُومَةُ، نَامَتْ عَلَى غُصْنِهَا — حَيْثُ أَقَامَتْ عُشَّهَا — نَوْمًا
 عَمِيقًا.

لَكِنْ لَا تَنَسُوا — يَا أَوْلَادِي — أَنَّ لِكُلِّ إِسَاءَةٍ عِقَابًا، وَأَنَّ جَزَاءَ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ
 وَشِدَّةِ النَّهْمِ (الشَّرِّ فِي الْأَكْلِ)، لَا بَدَّ حَائِقٌ بِذَوِيهِ (مُحِيطٌ بِأَصْحَابِهِ)، عَاجِلًا أَوْ
 آجِلًا.

إِنَّ «أُمَّ الْخَرَابِ» مَا إِنْ تَسْتَيْقِظُ مِنْ سُبَاتِهَا الْعَمِيقِ (نَوْمِهَا الْمُسْتَعْرِقِ)،
 حَتَّى تَنْتَابَهَا الْأَلَامُ وَالْأَوْجَاعُ فِي رَأْسِهَا وَمَعْدَتِهَا، كَمَا تَنْتَابُنَا إِذَا أَفْرَطْنَا فِي أَكْلِ
 الْحَشَائِشِ الْمُبْتَلَّةِ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ.
 لَيْسَتْ تَخْفُ الْأُمُهَا حَتَّى تَلْفِظَ مِنْ جَوْفِهَا جِلْدَنَا وَعَظْمَنَا. فَإِذَا أَخْرَجْتَهُ
 اسْتَسَلَمْتَ لِلنَّوْمِ مَرَّةً أُخْرَى.

الفصل الثاني

(١) خُطْبَةُ «الْحُرَيْزِ»

لَمَّا أْتَمَّ عَمَّكَ الشَّيْخُ «أَبُو نَابِهٍ» هَذِهِ الخُطْبَةَ النَّفِيسَةَ، نَهَضَ فِي إِثْرِهِ خَالِكَ الحَكِيمُ الشَّيْخُ: «الْحُرَيْزُ»؛ فَشَكَرَ لِذَلِكَ الخَطِيبِ المُبْدِعِ نَصَائِحَةَ الثَّمِينَةِ. ثُمَّ قَالَ، بَعْدَ أَنْ أَتْنَى عَلَى خِطَابِهِ الرَّائِعِ:

أَيُّهَا الأَهْلُ الكِرَامُ:

إِنَّ مَصْرَعَ ابْنِ أُخْتِي العَزِيزِ: «أَبِي نَبْهَانَ» قَدْ عَزَّ عَلَيْنَا جَمِيعًا، فَامْتَلَأَتْ قُلُوبُنَا مِنْهُ حُزْنًا وَأَسْفًا. لَكِنَّ الحُزْنَ والأَسْفَ — كَمَا تَعْلَمُونَ — لَا يَنْفَعَانِ أَحَدًا. فَلِنَتَّخِذْ مِنْ مَصْرَعِهِ عِبْرَةً لَنَا وَمَوْعِظَةً؛ فَلَا نَعْرِضَنَّ أَنْفُسَنَا — مَرَّةً أُخْرَى — لِخَطَرِ هَذِهِ العُدُوِّ اللَّدُودِ الَّتِي فَتَكَتْ بِفَقِيدِنَا العَزِيزِ «أَبِي نَبْهَانَ»، وَلَا نَسْتَهِينَنَّ بِخَطَرِهَا وَقُوَّتِهَا، وَإِلَّا أَصَابْنَا مِثْلُ مَا أَصَابَ الفَتَى الطَّائِشَ: أَبَا دِرْصَانَ.

(٢) العَجُوزُ القَاسِيَةُ

صَاحَ الحَاضِرُونَ يَسْأَلُونَهُ: «وَمَا هِيَ قِصَّةُ أَبِي دِرْصَانَ؟»
قَالَ «الْحُرَيْزُ»:

أَيُّهَا الْأَعْرَاءُ!

عَلَى سَطْحِ جُرْنِ عَالٍ، فِي حَقْلِ مُنْبَسِطٍ فَسِيحٍ، عَاشَتِ الْعَجُوزُ الْقَاسِيَةُ، بَعْدَ أَنْ
اتَّخَذَتْ فِي ذِرْوَةِ الْجُرْنِ (أَعْلَاهُ) بَيْتًا تَأْوِي إِلَيْهِ مَعَ صَبِيَانِهَا الصَّغَارِ. أَتَعْرِفُونَ
مَنْ الْعَجُوزُ الْقَاسِيَةُ الَّتِي كَانَتْ تَأْوِي إِلَى بَيْتِهَا الْعَالِي فِي سَقْفِ الْجُرْنِ الَّذِي
يَحْزَنُ فِيهِ الزَّارِعُونَ مَا يَجْمَعُونَ مِنْ غَلَاتِ حُقُولِهِمْ؟

إِنَّهَا عَدُوَّتُكُمْ اللَّدُودُ «أُمُّ الصَّبِيَانِ»: تِلْكَمُ الْبُومَةُ الَّتِي حَدَّتْكُمْ عَنْهَا عَمُّكُمْ
الشَّيْخُ الْمُجَرَّبُ: «أَبُو نَابِهِ». تِلْكَمُ الْعَجُوزُ الْفَرَّاسَةُ الْفَتَاكَةُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الرَّحْمَةَ
إِلَى قَلْبِهَا سَبِيلًا.

(٣) طُرْطُورُ الْعَجُوزِ

هِيَ فِي حَجْمِ الْغُرَابِ. لَكِنَّهَا أَوْفَرُ دَمَامَةً (أَكْثَرُ قُبْحًا) وَأَعْنَفُ طَبْعًا، وَجِسْمُهَا مُنْقَطٌّ
بِالْبَيَاضِ.

اجْتَمَعَ الرِّيشُ فِي رَأْسِهَا. أَحَاطَ بِهِ. حَيَّلَ إِلَى رَائِبِهَا أَنَّ طُرْطُورًا يَبْدُو عَلَى جَبِينِهَا.
أَطَلَّتْ مِنْ خِلَالِ هَذَا الطُّرْطُورِ عَيْنَانِ صَفْرَاوَانِ، اسْتَدَارَتَا كَمَا تَسْتَدِيرُ الْحَلَقَتَانِ
الْوَاسِعَتَانِ، وَالتَّهَبَّتَا كَمَا يَلْتَهَبُ الْمُصْبَاحَانِ الْمُضِيئَانِ.

(٤) ضَوْءُ الْبُذْرِ

كَانَ الْبُذْرُ يَمْلَأُ الدُّنْيَا نُورًا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ. كَانَ يُرْسَلُ ضَوْءُهُ الْوَهَّاجَ عَلَى الْحُقُولِ فَيُنِيرُهَا،
وَعَلَى الْأَشْجَارِ فَيَجُوسُ (يَتَخَلَّلُ) أَغْصَانَهَا الْعَارِيَةَ، ثُمَّ يَنْفُذُ إِلَى الْأَرْضِ، فَيَبْدُدُ الظَّلَامَ
الْحَالِكَ.

(٥) «أَبُو دِرْصَانَ»

سَيِّدِي الْعَمِّ، سَيِّدَاتِي وَسَادَاتِي: بَنَاتِ نَبْهَانَ وَالْخُرَز: رَوَيْتُ عَنْ أُمِّي، عَنْ أَبِيهَا، عَنْ جَدِّهَا: أَنَّ جُرْدًا (فَأْرًا) اسْمُهُ: «أَبُو دِرْصَانَ»، كَانَ يَعْيشُ مَعَ وَالِدَتِهِ: «أُمُّ رَاشِدٍ» فِي جُحْرِ صَغِيرٍ اتَّخَذَاهُ مَسْكَنًا لَهُمَا فِي أَسْفَلِ حَائِطِ هَذَا الْجُرْنِ الْكَبِيرِ الَّذِي حَدَّثْتُمْ بِهِ.

(٦) عُمُرُ الْبَدْرِ

كَانَتْ اللَّيْلَةُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ — فِيمَا أَظُنُّ — أَعْنِي أَنَّ عُمَرَ الْقَمَرِ حِينِنْدِ كَانَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً. أَوْ لَعَلَّهَا كَانَتْ لَيْلَةَ السَّوَاءِ. أَعْنِي أَنَّ عُمَرَ الْقَمَرِ كَانَ فِيهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

(٧) الْغِنَاءُ الْمُرْعَجُ

نَعَبَتِ الْبُومَةُ (صَوَّتَتْ) — عَلَى عَادَتِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ — بِصَوْتِهَا الْقَبِيحِ؛ فَانْزَعَجَ — لِسَمَاعِ نَعِيْبِهَا — كُلُّ كَائِنٍ حَيٍّ. كَانَتْ تُسَمِّي صُرَاخَهَا الْقَبِيحِ: غِنَاءً، وَهِيَ تُصَوِّتُ نَاعِبَةً:

تُو — وَت — تُو — وَو
تُو — وَت — تُو — تُو
تُو — وَت — تُو — وَو

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

عَا - شُوا - مَا - تُوَا



لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ يَطْرَبُ لِصَوْتِهَا الْقَبِيحِ غَيْرُهَا.

(٨) غَيْظُ «أَبِي دِرْصَانَ»

بَيْنَا هِيَ مُسْتَرْسَلَةٌ فِي نَعِيْبِهَا، إِذْ أَطَلَّ «أَبُو دِرْصَانَ» مِنْ جُحْرِ الضِّيْقِ. هُوَ فَتَى مِنْ
فَتَيَانَ الْجِرْدَانَ (الْفَيْرَانَ). كَانَ سَلِيْطًا (طَوِيْلَ اللِّسَانِ سَيِّئَ الْكَلَامِ).
قَالَ لِلْبُوْهَةِ (الْبُوْمَةِ) «أُمُّ الصَّبِيَّانِ»: «أَيُّ صَوْتِ مُزْعِجٍ تُرْسِلِينَ؟ أَمْرِيضَةٌ أَنْتِ؟ لِمَاذَا
تَنْعَبِينَ؟»

تَعَاَصَتْ عَنْهُ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ» (أَعْرَضَتْ وَلَمْ تُبَالِ). تَرَفَّعَتْ عَنْ مُنَاقَشَتِهِ. أَعْمَضَتْ عَيْنَهَا عَنْهُ. كَانَتْ أَحْزَمَ وَأَكْيَسَ مِنْ أَنْ تُنَاقِشَ «أَبَا دِرْصَانَ»: ذَلِكُمُ الطِّفْلُ الطَّائِشُ السَّلِيْطُ اللِّسَانِ.

تَأَلَّقَ ضَوْءُ الْقَمَرِ؛ فَأَنَارَ عَلَيْهِمَا جَمِيْعًا. ابْتَسَمَ لِلْكُوْنِ ابْتِسَامَتَهُ الْمُحِبُّوبَةَ. لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ — فِيمَا أَعْلَمُ — يَأْبَهُ لَهُمَا (يَهْتَمُّ بِهِمَا)، أَوْ يُعْنَى بِأَمْرِهِمَا.

(٩) جَزَعُ «أُمِّ رَاشِدٍ»

قَفَزَ «أَبُو دِرْصَانَ» عَائِدًا إِلَى جُحْرِهِ. تَلَقَّئَهُ «أُمُّ رَاشِدٍ» مَذْعُورَةً. قَالَتْ لَهُ بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ (مُضْطَرِبٍ) يَكَادُ يَنْمِيْزُ (يَنْقَطِعُ) مِنَ الْعَيْظِ: «أَيُّ كَلَامٍ هَذَا الَّذِي كُنْتُ تُوَجِّهُهُ الْآنَ، إِلَى الْبُومَةِ «أُمِّ الصَّبِيَّانِ»؟ أَلَمْ أُحْذِرْكِ مِنْهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: إِنَّهَا مِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ، وَإِنَّهَا فَرَّاسَةٌ، قَاسِيَةُ الْقَلْبِ، صَعْبَةُ الْمِرَاسِ (عَنِيْفَةٌ فِي طَبِيعِهَا وَمُعَامَلَتِهَا)، وَإِنَّ فَتَكَاتِهَا بِنَا — مَعَشَرَ الْجِرْذَانَ (الْفَيْرَانَ) — قَاتِلَةٌ مُهْلِكَةٌ. أَلَمْ أُوصِكَ بِالِابْتِعَادِ عَنْهَا، وَالْفِرَارِ مِنْهَا، وَالْهَرَبِ مِنْ لِقَائِهَا، مَا وَجَدْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيْلًا؟ كَيْفَ نَسِيتَ نَصِيْحَتِي، وَتَعَمَّدْتَ الْخُرُوجَ لِهَذَا الطَّائِرِ الْفَتَّاكِ؟»

(١٠) جَوَابُ طَائِشٍ

قَالَ «أَبُو دِرْصَانَ»: «لَا تَتَمَادِي (لَا تَدُوْمِي وَلَا تَسْتَرْسِلِي) فِي غَضَبِكَ، يَا أُمَّاهُ. مَا أَظُنُّنِي قَدْ فَعَلْتُ مَا أَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ كُلَّ هَذَا اللَّوْمِ وَالتَّعْذِيرِ (الْمَوْأَخَذَةِ وَالتَّوْبِيخِ)». اِرْتَفَعَ صَوْتُهُ عَالِيًّا، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَعْبَثَ (أَمْزَحَ وَالْهُوَ) بِهَا وَأَعَاكِسَهَا. لِمَ لَا؟ صَوْتُهَا — كَمَا تَسْمَعِينَ — مِنْ أَنْكَرِ الْأَصْوَاتِ وَأَقْبَحِهَا. أَيُّ حَرَجٍ عَلَيَّ إِذَا سَخِرْتُ مِنْهَا قَلِيْلًا؟ وَدِدْتُ لَوْ سَمِعْتَهَا وَهِيَ تَتَعَبُ يَا أُمَّاهُ! إِذَنْ لَمَا تَمَالَكْتَ مِنَ السُّخْرِيَةِ بِهَا. إِنَّ نَعِيْبَهَا الْقَبِيْحَ يُضْحِكُ الْقَطْلَ!»

(١١) رِعْشَةُ الْحَوْفِ

صَرَحَتْ أُمُّهُ مُغْتَاطَةً: تَمَلَّكَهَا الْفَرْعُ وَالرُّعْبُ: «يُضْحِكُ الْقَطُّ؟ يَا لَكَ مِنْ غَيْبِي جَرِيءٍ! كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ فَمِكَ، أَيُّهَا الْأَبْلَهُ! أَيُّ حَادِثٍ دَهَاكَ فَأَفْقَدَكَ رَشَادَكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ أَيُّ حَبَالٍ اعْتَرَاكَ، فَاذْفَعْتَ تَهْرَفٌ (تَتَكَلَّمُ عَلَى غَيْرِ هُدًى) بِهِذَا الْهُدْيَانِ؟ طَالَمَا نَهَيْتُكَ عَنِ التَّمَايِي فِي أَمْثَالِ هَذَا الْهُرَاءِ (الْقَوْلِ الْبَاطِلِ)!

يُضْحِكُ الْقَطُّ؟ كَيْفَ جَرُوتَ عَلَى أَنْ تَذْكَرَ هَذَا الْإِسْمَ الْكَرِيهَ الْمُفْرَعُ؟ كَيْفَ سَاعَفَكَ لِسَانُكَ عَلَى النُّطْقِ بِهَذَا اللَّفْظِ الرَّاعِبِ؟

إِنَّ سَمَاعَ اسْمِ الْقَطِّ — وَحْدَهُ — لَيَكْفِي لِإِيذَائِي وَإِلْحَاقِ الْمَرِضِ بِي. وَيْحَكَ! لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي بِهَذَا السَّبْعِ الْفَرَّاسِ. مَلَأَتْ قَلْبِي فَرْعًا وَرُعْبًا.»
مَا أَتَمَّتْ قَوْلَهَا حَتَّى ارْتَعَدَ جِسْمُهَا مِنَ الْفَرْعِ. سَرَتْ الرُّعْشَةُ فِيهِ كُلُّهُ، فَاذْتَنَّمَتْهُ (شَمَلَتْهُ) مِنْ أَعْلَى رَأْسِهِ إِلَى طَرْفِ ذَيْلِهِ الطَّوِيلِ.

(١٢) أَرَاءُ خَاطِئَةٌ

دَهَسَ «أَبُو دِرْصَانَ» مُتَضَجِّرًا. قَالَ فِي نَفْسِهِ: «يَا لَهَا مِنْ جَبَانَةٍ رَعْدِيذَةٍ (شَدِيدَةٍ الْحَوْفِ)!»

ثُمَّ لَفَّ جِسْمَهُ وَكَوَّرَهُ — قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَهُ سِنَّةٌ (عَفْوَةٌ) مِنَ النَّوْمِ — وَهُوَ يَقُولُ: «لَسْتُ أَشْكَ فِي أَنْ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ» دَمِيمَةٌ (قَبِيحَةٌ الصُّورَةَ). إِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُلْحَقَ بِي شَيْئًا مِنَ الْأَدَى.

إِنَّهَا بَلْهَاءُ نَوْوْمٍ (كَثِيرَةُ النَّوْمِ). لَيْسَ لَهَا مِنْ عَمَلٍ تَوَدِّيهِ — طُولَ وَقْتِهَا — سِوَى الْجُلُوسِ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْجَوْفَاءِ (الْفَارِغَةِ)، مُحَدِّقَةً فِيهَا بَعِيدَيْنِ لَا تَزَالِنِ تَطْرِفَانِ، وَلَا يَكْفُ عَنِ الرُّعْشَةِ هُدْبَاهُمَا (الشَّعْرُ الَّذِي يَنْبُتُ فِي أَطْرَافِ الْجَفْنَيْنِ).

لَسْتُ أَرْتَابُ (أَشْكَ) فِي أَنْبِي أَسْرَعُ مِنْهَا عَدْوًا (جَرِيًّا) وَأَوْفَرُ (أَكْثَرُ) نَشَاطًا. هَلْ فِي قُدْرَةِ هَذِهِ الْعَجُوزِ الْمِكْسَالِ (الشَّدِيدَةِ الْكَسَلِ) أَنْ تَسْبِقَنِي؟ كَلَّا، مَا أَظُنُّ ذَاكَ.

مَا أَحْسَبُ هَذِهِ الْهَرْمَةَ (الْكَبِيرَةَ السِّنِّ) إِلَّا عَاجِزَةً عَنِ الْحَرَكَةِ، بَلْهُ الْعَدْوِ (فَضْلًا عَنِ السَّيْرِ السَّرِيعِ وَالْجَرِيِّ)!»

(١٣) فِي عَالَمِ الْأَخْلَامِ

أَسْلَمَ عَيْنَيْهِ لِلْكَرَى (لِلنَّوْمِ). رَأَى — فِي مَنَامِهِ — حُلْمًا بَهِيجًا، لَمْ يَرَ أَجْمَلَ مِنْهُ طَوَالَ حَيَاتِهِ: وَجَدَ نَفْسَهُ فِي مَخْرَنٍ حَافِلٍ بِأَشْهَى أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ. رَأَى أَمَامَهُ أَكْدَاسًا مِنَ الشَّمْعِ وَالْجُبْنِ، وَهُوَ يَتَأَنَّى فِي الْمَضْغِ، وَيَتَذَوَّقُ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ مَا لَدَّ وَطَابَ.

كَانَ بَابُ الْحُجْرَةِ مُغْلَقًا.

لَمْ تَسْتَطِعْ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ» أَنْ تَنْفُذَ إِلَى «أَبِي دِرْصَانَ».

لَمْ تَقْدِرْ عَلَى تَنْغِيصِ زَادِهِ الشَّهِيِّ، وَمَأْكَلِهِ الْهَيِّ.

رَأَى — فِيمَا رَأَى — أَنَّ «أُمَّ الصَّبِيَّانِ» وَقَفَتْ خَارِجَ النَّافِذَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي دَخَلَ مِنْهَا.

حَاوَلَتْ الدُّخُولَ فَلَمْ تَسْتَطِعْ لِضَخَامَةِ جِسْمِهَا: وَقَفَتْ مُتَأَلِّمَةً حَسْرَى (مُتَوَجِّعَةً مُتَحَسِّرَةً)، تُحَاوِلُ أَنْ تَشْرَكَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهِ، دُونَ أَنْ تَظْفَرَ مِنْهُ بِطَائِلٍ (بِفَائِدَةٍ).

(١٤) حُلْمُ الْجَائِعِ

رَأَاهَا تَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ ضَارِعَةً أَنْ يُخْرِجَ لَهَا — مِنَ النَّافِذَةِ — وَلَوْ قِطْعَةً صَغِيرَةً مِنَ الْجُبْنِ. لَكِنَّ الْجُرْدَ لَمْ يُجِبْ لَهَا شَفَاعَةً وَلَا رَجَاءً. أَصْرَّ عَلَى رَفْضِ مَا تَطْلُبُهُ فِي عِنَادٍ وَشِمَاتَةٍ.



مَا زَالَ الْجُرَذُ يُوَاصِلُ الْأَكْلَ مُتَأَنِّيًا (بَطِينًا)، وَلَا يَكْفُ عَنِ الطَّعَامِ إِلَّا لِحَظَاتٍ يَسِيرَةً،
يَتَفَكَّهُ فِي خِلَالِهَا بِمَدَاعِبَةٍ «أُمِّ الصَّبِيَّانِ» وَالسُّخْرِيَّةِ مِنْهَا.
كَانَ يَرَاهَا — فِي مَنَامِهِ — وَهِيَ تَلْحُحُ فِي الدُّخُولِ مِنَ النَّافِذَةِ الضَّيِّقَةِ فَلَا تَسْتَطِيعُ؛
فَتَتَمَثَّلُ لَهُ غِبَاوَتَهَا، وَيَتَحَيَّلُ أَنَّهَا بُلْهَاءٌ، حَقُّ بُلْهَاءٍ.

(١٥) فِي عَالَمِ الْيَقْظَةِ

اسْتَعْرَبَ (زَادَ فِي الضَّحِكِ وَأَكْتَرَّ مِنْهُ). تَمَادَى فِي فَرَحِهِ وَابْتِهَاجِهِ بِمَا ظَفَرَ بِهِ مِنْ لَذَائِدِ
الْأَطْعِمَةِ، حَتَّى أَفَاقَ مِنْ نَوْمِهِ.
انْقَضَى حُلْمُهُ، وَاسْتَحْفَى — عَنِ نَاطِرِهِ — الْمَخْزَنَ الْحَافِلَ بِمَا يَحْوِيهِ مِنْ جُبِنِ
شَهْيٍ وَعَسَلٍ سَائِعٍ وَسَمِعَ لَذِيدًا!

وَاحْسَرَتَا عَلَيْهِ! كَانَ مَا رَأَاهُ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ (أَحْلَاطَهَا).

تَأَوَّهُ مَحْزُونًا وَقَالَ: «يَا لَهُ حُلْمًا رَائِعًا بَهِيَجًا!»

أَطْبَقَ عَيْنَيْهِ ثَانِيَةً. حَاوَلَ أَنْ يَسْتَعِيدَ الْحُلْمَ الْجَمِيلَ مَرَّةً أُخْرَى. لَكِنْ كَيْفَ يَتَسَنَّى لِلْحَالِمِ أَنْ يَسْتَعِيدَ — بَعْدَ الْيَقْظَةِ — مَا كَانَ يَسْتَمْتِعُ بِهِ مِنْ جَمِيلِ الْأَحْلَامِ؟

(١٦) غُرُورُ الْحَمَاقَةِ

مَا لَبِثَ «أَبُو دِرْصَانَ» أَنْ اسْتَسْلَمَ لِلضَّحِكِ مَرَّةً أُخْرَى.

تَمَلَّكَتُهُ الْبُهْجَةُ مِمَّا ظَفَرَ بِهِ فِي نَوْمِهِ مِنَ السُّخْرِيَةِ بِأَمِّ الصَّبِيَّانِ، وَالضَّحِكِ مِنْ بَلَاهَتِهَا!

إِنَّهُ لَعَارِقُ فِي هَذِهِ الذُّكْرِيَّاتِ السَّارَّةِ، إِذْ دَوَّتْ (ارْتَفَعَتْ) — فِي الْفَضَاءِ — صَيْحَاتُ «أُمِّ الصَّبِيَّانِ» وَهِيَ تَتَعَبُ (تَتَعَقُّ) بِأَعْلَى صَوْتِهَا الْقَبِيحِ. مَا إِنْ سَمِعَ نَعِيْبَهَا (نَعِيْقَهَا) حَتَّى اسْتَوَلَى عَلَيْهِ الضَّحْكُ مِمَّا سَمِعَ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ فَرَحَانَ مَسْرُورًا: «لَيْتَ شِعْرِي (لَيْتَنِي أَشْعُرُ وَأَعْلَمُ)! هَلْ تَعْرِفُ هَذِهِ الْعَجُوزُ الْبُلْهَاءُ: أَيُّ صَوْتٍ مُنْكَرٍ سَخِيفٍ يَنْبَعِثُ مِنْ فِيهَا (فَمَهَا)؟

أَلَا لَيْتَهَا تَعْلَمُ كَمْ يُسَلِّينِي هَذَا السُّخْفُ مِنْهَا وَالْهَرَاءُ! لَعَلَّ مِنْ الْبِرِّ بِهَا، وَالْعَطْفِ عَلَيْهَا، أَنْ أَفْضِي إِلَيْهَا (أُخْبِرَهَا) بِهَذِهِ النَّصِيْحَةِ الْغَالِيَةِ، وَأَنْ أَبَيِّنَ لَهَا حَقِيقَةَ أَمْرِهَا؛ حَتَّى يَتَأَكَّدَ لَهَا أَنَّ الْكَائِنَاتِ كُلَّهَا تُجْمَعُ عَلَى اسْتِهْجَانِهَا (كَرَاهِيَّتِهَا) وَاسْتِنْكَارِ صَوْتِهَا. يَا صِدْقَ مَنْ سَمَاهَا: غُرَابَ اللَّيْلِ!»

(١٧) فِي خَارِجِ الْجُحْرِ

أَطَّلَ «أَبُو دِرْصَانَ» مِنْ جُحْرِهِ. أَبْصَرَ الْبَدْرَ لَا يَزَالُ يَتَأَلَّقُ (يُضِيءُ) فِي السَّمَاءِ، وَيَبْنُذُ نُورَهُ مِنْ خِلَالِ السُّحْبِ الْمَتْرَاكِمَةِ (الْمُتَجَمِّعَةِ) وَهِيَ تُسْرِعُ فِي جَرِيْهَا، فَلَا تَكَادُ تَسْتَقِرُّ فِي الْفَضَاءِ. لَمْ يَرَ الْجُرْدَ أَثْرًا لِأَمِّ الصَّبِيَّانِ. ابْتَعَدَ عَنِ جُحْرِهِ قَلِيلًا. حَدَقَ بِنَصْرِهِ فِي الْجَوْ. لَمْ يُبْصِرْ شَيْئًا يَخْشَاهُ.

كَانَتْ أُمُّهُ قَدْ خَرَجَتْ — فِي أَثْنَاءِ نَوْمِهِ — لِبَعْضِ شَأْنِهَا.

لَمْ يَجِدْ مَنْ يَرُدُّعُهُ وَيَكْفُهُ (يَزْجُرُهُ وَيَمْنَعُهُ) عَنِ الْمَخَاطَرَةِ.
فَرِحَ «أَبُو دِرْصَانَ» بِمَا ظَفَرَ بِهِ مِنَ الْحُرِّيَّةِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَتْ أُمُّهُ مِنَ الْجَحْرِ وَابْتَهَجَ.
إِنَّهُ سَيَحَقِّقُ مَا يَهْوَاهُ، دُونَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهَا مَا يَكْرَهُهُ — مِنَ اللَّوْمِ — وَيَخْشَاهُ.

(١٨) مُغَامَرَةٌ حَمَقَاءَ

اسْتَوَى عَلَيْهِ الرَّهْمُ، وَتَمَادَى بِهِ الْغُرُورُ، حَتَّى أَنْسِيَاهُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ، وَخَيَّلَا إِلَيْهِ أَنْ يَصْعَدَ
إِلَى بَيْتِ «أُمِّ الصَّبِيَّانِ»، لِيَنَامَ فِيهِ، وَيُعْلِنَ لَهَا سُخْرِيَّتَهُ بِهَا وَجْهًا لَوْجَهُ.
أَصْرَّ عَلَى تَنْفِيزِ مَخَاطَرَتِهِ. تَلَفَّتْ حَوْلَهُ. لَمْ يَجِدْ لِلدُّومَةِ الْعُجُوزِ أَثْرًا. قَالَ مُتَوَعِّدًا،
وَهُوَ يَكَادُ يَتَمَيَّزُ (يَتَقَطَّعُ) مِنَ الْعَيْظِ: «أَيْنَ أَنْتِ، يَا «غُرَابَ اللَّيْلِ»؟ أَيْنَ أَنْتِ، يَا «أُمَّ
الصَّبِيَّانِ»؟ أَلَا لَيْتَهَا تَجِيءُ إِلَيَّ! أَمَا لَوْ جَاءَتْ وَوَقَعَتْ عَلَيْهَا عَيْنَايَ لَقَلْتُ لَهَا: أَيُّنَّهَا الْهَرْمَةُ
الْعُجُوزُ....»

(١٩) عَاقِبَةُ الطَّيِّشِ

لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَاذَا كَانَ يُرِيدُ «أَبُو دِرْصَانَ» أَنْ يَقُولَهُ لِلدُّومَةِ: «أُمُّ الصَّبِيَّانِ»؛ لِأَنَّهُ لَمْ
يَنْطِقْ بِهِ، وَلَمْ يَنْمِ جُمْلَتَهُ إِلَى الْآنِ.
أَتَعْرِفُونَ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ مَا حَذَرْتَهُ أُمُّهُ إِيَّاهُ قَدْ وَقَعَ: انْقَضَ (سَقَطَ) عَلَيْهِ فَجَاءَةً جَنَاحَانِ
هَائِلَانِ. خَيَّلَا إِلَيْهِ أَنَّ جَبَلَيْنِ هَوِيَا عَلَى جِسْمِهِ الضَّعِيفِ.
أَحْسَّ كَأَنَّ عَاصِفَةً جَارِفَةً اكْتَسَحَتْهُ فِي طَرِيقِهَا، وَسَهَمَا مَارِقًا (نَافِذًا) شَكَّهَ فَاثْتَنَظَمَهُ
(شَمَلَهُ) فِي مِثْلِ لَمَحَةِ الْبُرْقِ الْخَاطِفَةِ.
أَنْشَبَتْ الْعُجُوزُ الْقَاسِيَةَ مَخَالِبَهَا الصُّلْبَةَ فِي جِسْمِهِ الْغَضِّ؛ فَلَقِيَ مَصْرَعَهُ. كَانَتْ «أُمُّ
رَاشِدٍ» بَعِيدَةً عَنِّ وَوَلَدَهَا، فَلَمْ تَسْمَعْ صَرَخَاتِهِ الْحَزِينَةَ.
لَمْ يَكُنْ يَدُورُ بِحَدِيثِهَا (لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهَا) هَذِهِ الْحَاتِمَةُ الرَّاعِبَةُ الَّتِي انْتَهَتْ بِهَا حَيَاةُ
وَلَدِهَا الطَّائِشِ الْمَغْرُورِ.

(٢٠) هَلْ عَلِمَ الْبَدْرُ؟

عَادَتْ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ» بِفَرِيصَتِهَا إِلَى عَشَّهَا، حَيْثُ يَأْوِي صِبْيَتُهَا الثَّلَاثَةُ. ظَلَّ الْبَدْرُ يُرْسَلُ إِلَى الْكُونِ أَشْعَثَهُ الْمَتَأَلِّقَةَ، وَيُشْبِعُ ابْتِسَامَتَهُ الْعَذْبَةَ مِنْ خِلَالِ عُصُونِ الشَّجَرِ.
لَسْتُ أَدْرِي: هَلْ عَلِمَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ شَيْئًا مِنْ تَفَاصِيلِ هَذِهِ الْمَأْسَاةِ؟ هَلْ شَهِدَ مَصْرَعِ «أَبِي دِرْصَانَ»؟ هَلْ أَصْعَى إِلَى أُنَاتِهِ الْحَزِينَةِ وَهُوَ يُحْتَضِرُ؟ مَا أَظُنُّ هَذَا، أَيُّهَا الْأَهْلُ الْكِرَامُ!

إِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ صَاحِبَنَا الْبَدْرَ الْمُنِيرَ، لَوْ عَلِمَ بِمَصْرَعِ «أَبِي دِرْصَانَ»، دُونَ أَنْ يَحْزَنَ لَهُ وَيَكْفَ عَنِ ابْتِسَامَتِهِ الَّتِي لَا تَفَارِقُ صَفْحَتَهُ، لَكَانَ قَاسِي الْقَلْبِ.
لَكِنَّ الْقَمَرَ — كَمَا تَعْلَمُونَ — بَعِيدٌ عَنِ عَالَمِنَا الْأَرْضِيِّ.
لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ يَتَسَنَّى لَهُ — وَهُوَ بَعِيدٌ عَنَّا — أَنْ يَعْلَمَ حَقِيقَةَ هَذِهِ الْمَأْسَاةِ؟ تَرَى هَلْ يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْكُمْ غَيْرَ هَذَا؟

(٢١) خُطْبَةُ «الْخَزْنِقِ»

قَامَ أَرْنَبُ ذِكْيٍ فِتْيِي (صَغِيرٌ قَوِيٌّ) اسْمُهُ «الْخَزْنِقُ».
خَطَبَ الْحَاضِرِينَ قَائِلًا: «لَعَلَّ الْبَدْرَ كَانَ مَشْغُولًا — كَمَا عَهْدُنَاهُ دَائِمًا — بِإِنَارَةِ الطَّرِيقِ لِلْسَّارِينَ (الَّذِينَ يَمْشُونَ بِاللَّيْلِ)؛ لِيَهْدِيَهُمْ سَوَاءَ السَّبِيلِ، لِلْوُصُولِ إِلَى غَايَاتِهِمُ الَّتِي يَرْجُونَهَا.

مَا أَظُنُّ الْبَدْرَ يَلْتَفِتُ إِلَى مَنْ يَعْصِي كَلَامَ أُمِّهِ، وَيَسْتَهِينُ بِنَصَائِحِهَا الْعَالِيَةِ. كَلَّا. مَا أَحْسَبُهُ يُعْنَى بِمَنْ لَا يَنْتَفِعُ بِتَجَارِبِ غَيْرِهِ مِنْ كِرَامِ النَّاصِحِينَ.

(٢٢) تَمَنُّ الْعِنَادِ

لَوْ عَرَفَ «أَبُو دِرْصَانَ» كَيْفَ يَسْتَفِيدُ مِنَ النُّورِ، لَتَجَنَّبَ الْوُقُوعَ فِي الْهَاطِيَةِ، وَنَجَا مِنَ التَّعَرُّضِ لِلتَّهْلُكَةِ.

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

مَا كَانَ لِلْبُدْرِ أَنْ يُضِيعَ وَقْتَهُ التَّمِينِ فِي الْبُكَاءِ عَلَى مِثْلِ «أَبِي دِرْصَانَ» الَّذِي لَمْ يَرْحَمْ
نَفْسَهُ، وَأَبَى إِلَّا أَنْ يُضِيعَ حَيَاتَهُ بِغُرُورِهِ وَجَهْلِهِ، وَتَمَادِيهِ فِي عِنَادِهِ، وَاسْتِهَانَتِهِ بِخَطَرِ
عَدُوِّهِ الْبَاطِشِ الْغَلَابِ.»

الفصل الثالث

(١) رائد الحقل

لَمَّا أَتَمَّ «الْخَرِيقُ» كَلِمَتَهُ، وَقَفَ عَمِّكَ الذِّكْرِيُّ «رَائِدُ الْحَقْلِ» الَّذِي طَالَمَا كَشَفَ لَنَا لَدَائِدَ مَنْ
ثَمَارِ الْحُقُولِ الْقَاصِيَةِ وَالِدَائِنِيَّةِ.
رَوَى لَنَا قِصَّةً مُعْجَبَةً فَيَاضَةً بِالْمَوْعِظَةِ وَالْحِكْمَةِ.
مَا أَدْكُرُّ أَنْبِي سَمِعْتُ — فِي حَيَاتِي — قِصَّةً أَجْمَلَ مِنْهَا.
لَوْ سَمِعَهَا وَلَدِي «أَبُو نَبْهَانَ» لَكَفَّ عَنْ عِنَادِهِ وَلَجَّاجَتِهِ، وَلَمْ يَتِمَّادَ فِي ضَلَالِهِ
وَعَوَائِيَّتِهِ.
لَكِنَّ أَمْرَ اللَّهِ نَافِذٌ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ.

(٢) الطائِعُ وَالطَّامِعُ

قَالَ «رَائِدُ الْحَقْلِ»:

أَيُّهَا الْأَهْلُ الْكِرَامُ:

عَاشَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، أَرْبَعَانِ فُتَيَّانِ (صَغِيرَانِ قَوِيَّانِ)، اسْمُ أَحَدِهِمَا: «الْقَانِعُ»،
وَلِقَبُهُ: «الطَّائِعُ» (اللَّقَبُ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يُنَادِيهِ بِهَا عَارِفُوهُ، لِأَنَّهَا تَصِفُهُ).
وَأَسْمُ الْأَخَرَ: «الْمَانِعُ»، وَلِقَبُهُ: «الطَّامِعُ».
كَانَ الْأَوَّلُ يُطِيعُ أُمَّهُ وَيَسْتَمِعُ إِلَى نُصْحِهَا وَلَا يُخَالِفُ لَهَا قَوْلًا.

كَانَ يَفْنَعُ مِنَ الزَّادِ (الطَّعَامِ) بِالْقَلِيلِ. لَمْ يَكُنْ جَمِيلَ الشَّكْلِ؛ لَكِنَّهُ طَيِّبُ الْقَلْبِ. أَمَّا الْأَحْرُ فَكَانَ — عَلَى الْعَكْسِ مِنْ أَخِيهِ — لَا يُطِيعُ لِأُمِّهِ نُضْحًا، وَلَا يَقْبَلُ لَهَا رَأْيًا، كَمَا كَانَ شَدِيدَ الْحَرِصِ وَالطَّمَعِ، لَا يَفْنَعُ بِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ.

(٣) نَصِيحَةُ الْأُمِّ

وَذَا صَبَاحٍ فَرَعَ الزَّادُ مِنْ جُحْرِ أُمَّهَمَا، فَقَالَتْ لَوْلَدَيْهَا: «إِنِّي ذَاهِبَةٌ لِإِحْضَارِ الطَّعَامِ لَكُمْ. لَنْ أَغِيبَ عَنْكُمْ إِلَّا قَلِيلًا. نَظَّمْتُ لَكُمْ — بَعْدَ عَوْدَتِي — نَزْهَةً جَمِيلَةً. لَا تَبْتَعِدَا كَثِيرًا عَنْ جُحْرِكُمَا حَتَّى لَا يُصِيبَكُمَا صَرْرٌ.»

فِي أَثْنَاءِ غِيَابِهَا لَعِبًا بِالْقُرْبِ مِنْ مَكْوَهَمَا (دَارِهِمَا) وَقَتًا قَصِيرًا. لَكِنَّ «الطَّامِعَ» أَصَرَ عَلَى الْإِبْتِعَادِ عَنِ الدَّارِ.

حَاوَلَ «الطَّامِعُ» أَنْ يُدَكِّرَهُ نَصِيحَةَ أُمِّهِ، وَيُحَدِّثَهُ الْأَنْفِرَادَ بِرَأْيِهِ. قَالَ لَهُ «الطَّامِعُ»: «لَنْ نَذْهَبَ بَعِيدًا. تَعَالَ مَعِي. لَنْ نُخَالَفَ نُضْحَ أُمَّنَا أَبَدًا!»

(٤) مِسْنَةُ الْحَسِّ

ظَلَّ يُحَادِثُ أَحَاهُ وَيَقْصُ عَلَيْهِ أَجْمَلَ الْقَصِصِ — وَهُمَا سَائِرَانِ — حَتَّى ابْتَعَدَا عَنْ مَكْوَهَمَا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرَانِ.

تَنَبَّهَ «الطَّامِعُ» إِلَى مُخَاطَرَةِ أَخِيهِ. قَالَ لَهُ خَائِفًا مُفْرَعًا: «بَعْدُنَا عَنِ الْمَكْوِ (الْبَيْتِ)؛ فَلْنُسِرْ بِالْعُودَةِ حَتَّى لَا تَفْرَعَ أُمِّي، إِذَا عَادَتْ إِلَى مَكُونَا (دَارِنَا) فَلَمْ تَجِدْنَا.»



قَالَ «الطَّامِعُ»: «كَلَّا. لَا تَخَفُ. سَنَبَلِّغُ الْمَكُوفَ قَبْلَ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ أَمَّنَّا بِزَمَنِ طَوِيلٍ. أَلَا تَرَى مَكُونَنَا (جُحْرَنَا) غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَّا؟ لِمَاذَا تَجْرَعُ (تَخَافُ)؟ أَمَّا زَمَنُ طَوِيلٍ نَقْضِيهِ فِي اللَّعِبِ وَالسُّرُورِ. انظُرْ إِلَى ذَلِكَ الْخَسِّ. مَا أَجْمَلُهُ وَأَشْهَاهُ! إِنِّي لَأَذُوبُ شَوْقًا إِلَى تَذْوُقِهِ وَأَكْلِهِ.»

كَانَ الْخَسُّ فِي مِشْنَةِ تَرَكَهَا صَاحِبُهَا فِي الطَّرِيقِ، رَيْثَمَا يَبِيعُ شَيْئًا مِنْهُ لِطَبَّاحِ بَيْتِ قَرِيبٍ.

أَسْرَعَ «الطَّامِعُ». أَقْبَلَ عَلَى أَكْلِ الْخَسِّ فِي شَرِّهِ عَجِيبٍ.

(٥) جَزَاءُ عَادِلٍ

صَرَخَ فِيهِ «الْقَانِعُ»: «مَاذَا تَفْعَلُ؟ لَوْ رَأَيْتَكَ أُمَّكَ لَقَالَتْ عَنْكَ: سَارِقٌ!»
 انْتَفَتَ إِلَيْهِ «الطَّامِعُ». كَانَ قَدْ أَتَى عَلَى الْحَسَّةِ الْأُولَى (أَتَمَّ أَكْلَهَا)، وَأَقْبَلَ عَلَى التَّهَامِ
 الْحَسَّةِ الثَّانِيَةِ. قَالَ: «أُمِّي لَمْ تَحْضُرْ لَنَا حَسًّا شَهِيًّا كَهَذَا مِنْ قَبْلُ؟»
 مَا إِنَّ أُمَّ «الطَّامِعِ» قَوْلَتَهُ (جُمَلَتَهُ)، حَتَّى طَوَّحَتْ بِجِسْمِهِ رُفْسَةً عَنِيفَةً، دَحْرَجَتْهُ
 كَالْكُرَةِ.



دَوَّتْ فِي أُذُنِهِ صَيْحَةً غَضِبٍ، تَقُولُ مُتَوَعِّدَةً (مُنْذِرَةً مُخَوِّفَةً): «أَيُّهَا الْأَرْزَبُ اللَّصُّ، مَا
 أَجْدَرَكَ بِأَنْ تَذْبَحَ، وَتُسَلِّخَ، وَيُطْبَخَ لَحْمُكَ!»

(٦) هَرَبُ الْأَخْوَيْنِ

لَعَلَّكُمْ عَرَفْتُمْ مَاذَا حَدَّثَ؟

نَعَمْ! حَرَجَ صَاحِبُ الْحَسِّ مِنَ الْبَيْتِ.

أَبْصَرَ هَذَا الشَّرَّهَ (الْحَرِيصَ عَلَى الْإِكْتَارِ مِنَ الْأَكْلِ) وَهُوَ يَسْرِقُ حَسَّهُ. غَضِبَ وَأَسْرَعَ
بِهِمْ بِمَعَاقِبَتِهِ.

هَرَبَ الْأَرْزَبَانِ. ظَلَا يَعْدُوَانِ (يَجْرِيَانِ) وَلَا يَكْفَانِ عَنِ الْوَثْبِ وَالْقَفْزِ، مَا وَسَعَهُمَا
جُهْدَاهُمَا.

لَمْ يُصِبِ «الطَّامِعُ» بِصَرِّ كَبِيرٍ. لَكِنَّ الْخَوْفَ كَادَ يَقْتُلُهُ.

سَمِعَ الْأَرْزَبَانِ، وَهُمَا يَهْرَبَانِ، صَاحِبَ الْحَسِّ يَتَوَعَّدُ السَّارِقَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، قَائِلًا:
«أَيُّهَا اللَّصُّ، مَا أَجْدَرَكَ بِالذَّبْحِ وَالسَّلْحِ وَالطَّبِيخِ!»

(٧) نَبَاتٌ غَرِيبٌ

مَا زَالَ الْأَرْزَبَانِ يَقْفِرَانِ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى حَقْلٍ مُخَصَّرِ النَّبَاتِ. كَانَ الْوَثْبُ قَدْ جَهَدَهُمَا
(أَتَعَبَهُمَا) حَتَّى ضَاقَتْ أَنْفُسُهُمَا، فَكَادَا يَحْتَنِنَانِ.

قَالَ «الطَّامِعُ» وَهُوَ يَرْتَعِدُ خَوْفًا: «تُرَى أَيْنَ بَيْنُنَا الْآنَ؟»

أَجَابَهُ «الطَّامِعُ»: «لَعَلَّهُ قَرِيبٌ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ. سَنَبْلُغُهُ تَوًّا (فِي الْحَالِ). لَا تَنْزَعْجْ.
لِنَسْتَرِحْ هُنَا قَلِيلًا حَتَّى يَخْفَ أَلَمُ الرَّفْسَةِ، وَيَذْهَبَ أَنْزُهَا. أَنْظُرْ. مَا أَبْهَجَ هَذَا الْحَقْلُ!»
قَالَ «الطَّامِعُ»: «صَدَقْتَ. مَا أَغْرَبَ نَبَاتُهُ. مَا أَدْكُرُ أَنْبِي رَأَيْتُ نَبَاتًا مِثْلَهُ طُولَ
حَيَاتِي!»

قَالَ «الطَّامِعُ»: «أَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ. أَمَّا أَنَا فَخَبِيرٌ بِهِ. إِنَّهُ نَبَاتُ الْبَقْدُونِسِ. أَمَا لَوْ دُنَقْتَ
هَذَا النَّبَاتَ اللَّذِيذَ لَشَكَّرْتَ لِي أَنْ هَدَيْتُكَ إِلَيْهِ. تَعَالَ فَكُلْ مِنْهُ. أَنَا لَمْ أَرْ — فِيمَا رَأَيْتُ —
مِثْلَهُ فِي الْأَزْدِهَارِ وَالنُّضْجِ وَالنَّمَاءِ. تَعَالَ مَعِي نَتَذَوَّقُ مِنْهُ شَيْئًا.»

قَالَ «الطَّامِعُ»: «كَلَّا. لَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ. لَسْتُ وَاثِقًا — يَا أَخِي — أَنَّهُ نَبَاتُ
الْبَقْدُونِسِ الَّذِي تَطْنُ. مِنَ الْخَطَأِ أَنْ نَأْكُلَ طَعَامًا لَمْ تَأْذَنْ لَنَا أُمْنًا فِي أَكْلِهِ.»
ثُمَّ هَزَّ أذُنَيْهِ الطَّوِيلَتَيْنِ مَحْزُونًا، وَقَالَ: «خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ.»

قَالَ «الطَّامِعُ»: «الْحَقُّ مَا تَقُولُ. لَكِنَّ يُوَسِّفُنِي أَنْ يَفُوتَكَ هَذَا الطَّعَامُ السَّائِغُ الشَّهِيَّ (الطَّيِّبَ الْهَبِيَّ). آه لَوْ تَدَوَّقْتَهُ مَعِي!»

(٨) مَرَضُ «الطَّامِعِ»

بَلَّغَا الدَّارَ. رَأَيَا أُمَّهُمَا قَادِمَةً عَلَيْهِمَا.

قَالَ «الطَّامِعُ»: «أَقْبَلْتُ أُمَّنَا. هَلُمَّ (أَقْبِلْ) لِتَحِيَّتِنَاهَا.»

أَجَابَهُ «الطَّامِعُ» بِصَوْتِ خَافِتٍ: «أَذْهَبُ أَنْتِ. إِنِّي مُتَعَبٌ قَلِيلًا. مَا أَحْوَجَنِي إِلَى

الرَّاحَةِ.»

قَالَ «الطَّامِعُ»: «إِنَّ الْمَرَضَ لَيَبْدُو وَاضِحًا عَلَى سَيِّمَاتِكَ (مَنْظَرِكَ)، هَلْ تَشْعُرُ بِهِ؟»

قَالَ لَهُ أَخُوهُ مُنْزَعَجًا: «كَلَّا، لَسْتُ مَرِيضًا. إِنَّ الْأَرْبَبَ قَدْ يَتَعَبُ، دُونَ أَنْ يَكُونَ

مَرِيضًا! أَلَا يُمْكِنُ ذَلِكَ، يَا أَخِي؟ لَا تَقُلْ لِأُمِّي: إِنَّنِي مَرِيضٌ!»

لَمْ يُجِبْهُ «الطَّامِعُ» بِشَيْءٍ، بَلْ ذَهَبَ إِلَى لِقَاءِ أُمِّهِ. بَقِيَ أَخُوهُ يَبْكُو وَيَتَدَخَّرُ مِنْ

شِدَّةِ الْأَلَمِ فِي رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْجَحْرِ.

تَعَاوَنَ «الطَّامِعُ» مَعَ أُمِّهِ فِي حَلِّ حُزْمَةٍ مِنْ لَذِيذِ الطَّعَامِ أَحْضَرَتْهَا الْأُمُّ لِيَنْعَمَ بِأَكْلِهَا

وَلَدَاهَا الْعَزِيزَانِ.

أَقْبَلَ «الطَّامِعُ» عَلَى هَذَا الطَّعَامِ الَّذِي يُحِبُّهُ حُبًّا جَمًّا (كَثِيرًا).

أَكَلَ مِنْهُ نَصِيبَهُ شَاكِرًا مَسْرُورًا.

حَاوَلَ «الطَّامِعُ» أَنْ يَأْكُلَ. لَمْ يَسْتَطِعْ. أَحْسَسَ الْمَرَضَ: سَخَنَ حَتَّى كَادَ رَأْسُهُ يَحْتَرِقُ.

إِنْتَضَمَ الْأَلَمُ جِسْمَهُ (شَمَلَهُ) كَلَّةً. فَاضَ بِهِ الْأَلَمُ. لَمْ يُطِيقِ احْتِمَالَهُ بَعْدَ هَذَا.

إِرْتَمَى عَلَى الْأَرْضِ مُنْقَلَبًا صَارِحًا مِنْ قَسْوَةِ الْمَرَضِ.

(٩) النَّبَاتُ السَّامُّ

قَالَتْ أُمُّهُ مَحْزُونَةً مَشْدُوهَةً (مَدْهُوشَةً): «أَيُّ حَادِثٍ أَصَابَكَ، يَا وَلَدِي؟»

أَجَابَهَا: «إِنِّي أَشْعُرُ بِالْأَلَمِ هُنَا — يَا أُمَّاهُ — وَهُنَا!.. إِنِّي أَحْسَسُ كَأَنَّ وَحْشًا ضَارِيًا

(مُفْتَرَسًا) يَعْضُنِي وَيَمْرُقُّ أَحْشَائِي! آه. آه. آه!»

الفصل الثالث

قَالَتْ لَهُ: «مَاذَا صَنَعْتَ فِي أَثْنَاءِ غِيَابِي؟ هَلْ أَكَلْتَ شَيْئًا! خَبِّرْنِي بِجَلِيَّةِ أَمْرِكَ (بِحَقِيقَتِهِ)».

إصْفَرَ وَجْهَ «الطَّائِعِ». قَالَ: «ذَهَبْنَا إِلَى حَقْلِ الْبَقْدُونِسِ.»
صَاحَ «الطَّامِعُ»: «إِنَّ «الطَّائِعَ» لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئًا، يَا أُمَّهُ! كَلَّا لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ قَطُّ.
أَمَّا أَنَا فَأَكَلْتُ كَثِيرًا! آه! أَيُّ أَلْمٍ أَحْسُ! الْغَوْثُ يَا أُمَّهُ. أَغَيْثِنِي! الْعُونُ يَا أُمَّهُ، أَغَيْثِنِي!»
قَالَتْ أُمُّهُ: «نَبَاتُ الْبَقْدُونِسِ! أَوَاتِقُ أَنْتَ مِنْ أَنَّهُ نَبَاتُ الْبَقْدُونِسِ؟»
قَالَ «الطَّائِعُ»: «مَا أَظُنُّ ذَلِكَ، يَا أُمَّي. كَانَ قَرِيبَ الشَّبهِ مِنْهُ. قُلْتُ لِأَخِي: إِنَّهُ نَبَاتٌ
آخَرَ. سَمِمْتُ لَهُ رَائِحَةً غَيْرَ رَائِحَةِ الْبَقْدُونِسِ!»
صَرَخَتِ الْأُمُّ مَذْعُورَةً: «يَا لَتَعَاسَةٍ هَذَا الْفَتَى الصَّغِيرِ! أَكَلَّ نَبَاتَ الشُّوْكَرَانِ، وَهُوَ
يَحْسَبُهُ نَبَاتَ الْبَقْدُونِسِ! يَا لَشَقَاوَتِهِ! إِنَّهُ سَمٌّ قَاتِلٌ! رَبَّاهُ! كَيْفَ أَصْنَعُ؟ وَارْحَمْتَاهُ لَكَ، يَا
وَلَدَاهُ! أَسْرِعْ — يَا «طَّائِعُ». اسْتَدْعِ لَهُ الطَّبِيبَ!»

(١٠) آخِرَةُ «الطَّامِعِ»

كَادَ «الطَّامِعُ» يَغِيبُ عَنِ الْوُجُودِ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ.
ارْتَمَى بِلَا حِرَاكٍ فِي رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْجُحْرِ.
كَانَتْ تَنْبِعُثُ مِنْهُ — بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ — أَنَّهُ خَافَتُهُ، أَوْ حَرَكَتُهُ رِجْلٍ، أَوْ خَلَجُهُ أُذُنٍ
خَفِيفَةً.

ظَلَّتْ أُمُّهُ الْمَحْزُونَةُ وَاقِفَةً بِالْقُرْبِ مِنْهُ، تُحَاوِلُ أَنْ تُخَفِّفَ مِنْ أَلَمِهِ دُونَ جَدْوَى (بِلَا
فَائِدَةٍ)، وَتَتَرَقَّبُ حُضُورَ الطَّبِيبِ بِفَارِغِ الصَّبْرِ.



لَمْ يَسْتَطِعِ «الطَّامِعُ» أَنْ يَنْطِقَ — بَعْدَ هَذَا — إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً. قَالَ بِصَوْتٍ خَافِيَةٍ مُتَأَوِّهًا، وَهُوَ يُحْتَضِرُ (جِبْنَ حَضْرَهُ الْمَوْتِ): «أَيُّ أَلْمٍ أُجِسُّهُ؟ الْغَوْتُ يَا أُمَّاهُ!»

ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ مَبِيئَتُهُ (مَوْتُهُ)؛ فَهَمَدَتْ جُنَّتَهُ (أَصْبَحَتْ بِلا حَرَائِكِ)، وَسَكَتَتْ نَأْمَتُهُ (سَكَتَ صَوْتُهُ).

صَاحَتْ أُمُّهُ مُنْفَجَّةً: «وَاحِرَ قَلْبَاهُ! مَاتَ الطَّامِعُ!»

الفصل الرابع

(١) أَلَمُ الْجُوعِ

قَالَتْ «عِكْرَشَةُ» لِبِنْتِهَا «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ»: «هَذِهِ — يَا عَزِيزَتِي — هِيَ الْخُطْبُ النَّفِيسَةُ الَّتِي أَبَدَعَهَا خُطْبَاءُ الْحَفْلِ. فِيهَا — كَمَا تَرَيْنَ — نَصَائِحُ غَالِيَةٌ، يَجْدُرُ بِكُلِّ أَرْنَبٍ مُتَبَصِّرٍ أَنْ يَتَدَبَّرَهَا وَيَتَوَخَّأَهَا، وَيَعْمَلَ بِهَا وَلَا يَنْسَاهَا.»

أَطْرَقَتْ «عِكْرَشَةُ» لِحِطَّةً. بَدَتْ عَلَى وَجْهِهَا أَمَارَاتُ الْكَأَبَةِ (الْحُزْنِ) وَالْقَلَقِ.

سَأَلَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «فِيمَ تُفَكِّرِينَ يَا أُمَاهُ؟»

قَالَتْ: «أَخْشَى أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ لِأَبِيكَ وَإِخْوَتِكَ حَدِيثٌ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ. الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَلْبِثِي (تَمَكِّثِي) فِي مَكَانِكَ سَاعَةً حَتَّى أَخْرُجَ وَأَعُودَ. طَالَتْ عَيْبَتُهُمْ. سَأَرَى: فِي أَيِّ الْأَوْقَاتِ نَحْنُ الْآنَ؟ لَعَلَّ نُهَوِضِي يُخَفِّفُ قَلِيلًا مِنْ أَوْجَاعِ سَاقِي.»

فَقَرَّتْ «عِكْرَشَةُ» فِي جُهْدٍ وَعِنَاءٍ. وَصَلَتْ إِلَى حَافَةِ الْجُحْرِ. أَخْرَجَتْ أَنْفَهَا تَتَنَسَّمُ

الْهُوَاءَ.

عَادَتْ إِلَى «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ» قَائِلَةً: «إِنَّ النَّهَارَ وَشَيْكَ الطَّلُوعِ (قَرِيبُ الظُّهُورِ). مَرَّ بِنَا الْوَقْتُ سَرِيعًا. نَحْنُ لَاهِيَانِ بِقِصِّ الْحِكَايَاتِ. اشْتَدَّ بِي الْجُوعُ. أَصْبَحْتُ لَا أَطِيقُ الْبَقَاءَ بِلَا طَعَامٍ. هَلْ تُحْسِنِينَ مِثْلَ مَا أَحْسُ مِنْ آلامِ الْجُوعِ؟»

قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «إِنَّ بِي مِثْلَ مَا بِكَ. لَكِنِّي لَمْ أَشَأْ أَنْ أَسِيقَ أُمِّي بِالْقَوْلِ فِي

هَذَا.»

قَالَتْ «عِكْرِشَةُ» وَهِيَ تَحَاوِلُ أَنْ تَطْفِرَ بِنَبَاتٍ تَقْضُمُهُ (تَكْسِرُهُ بِأَطْرَافِ أَسْنَانِهَا وَتَأْكُلُهُ): «إِذَنْ فَلِنَقْضُمُ أَيَّ شَيْءٍ نَلْقَاهُ؛ لِيَطَّلَ فِي فَمِنَا، وَتَطَّلَ أَسْنَانُنَا تَلُوكُهُ زَمْنَا طَوِيلًا لِنَنْسَى آلَمَ الْجُوعِ، وَلِنَلْفِظُهُ بَعْدَ ذَلِكَ. لَعَلَّنَا نَطْفِرُ — بَعْدَ — بِمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ.»

قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «رَأَيْتُ — أَمْسِ — بَعْضَ الْحَشَائِشِ الْجَمِيلَةِ عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ لَا تَزِيدُ عَلَى عَشْرِ قَفْزَاتٍ مِنْ جُحْرِنَا. هَلْ تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَقْفِزِي مَعِي حَتَّى نَصِلَ إِلَيْهَا؟»

قَالَتْ «عِكْرِشَةُ»: «سَاحَاوِلُ إِمْكَانِي، يَا عَزِيزَتِي. هَلُمِّي بِنَا.»

(٢) فِي الْغَابَةِ

نَهَضَتْ «عِكْرِشَةُ» مُتَتَاقِلَةً. وَصَلَتْ إِلَى فُوهَةِ الْجُحْرِ (فَمِهِ). وَقَفَتْ لَحْظَةً مُفَكَّرَةً مُنْصِتَةً، شَأْنُ الْأَرَابِ الرَّشِيدَةِ الْمُتَبَصِّرَةِ. أَخْرَجَتْ فَاهَا (فَمَهَا) قَلِيلًا، ثُمَّ أَعَادَتْهُ مِنْ فُورِهَا. صَبَرَتْ قَلِيلًا. أَخْرَجَتْ فَاهَا ثَانِيَةً — بَعْدَ أَنْ أَطْمَأَنَّ قَلْبُهَا — وَأَدَارَتْهُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَهِيَ تُحِيلُ بَصَرَهَا (تُدِيرُ نَظَرَهَا) فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ. وَثَقَّتْ مِنَ السَّلَامَةِ. خَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا.

سَارَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» فِي أَثَرِهَا.

قَفَزَتْ «عِكْرِشَةُ» قَفْزَاتٍ قَلِيلَةً. حَارَتْ قُوَاهَا (ضَعُفَتْ). عَجَزَتْ عَنْ مُتَابَعَةِ السَّيْرِ. وَقَفَتْ مُتَأَلِّمَةً. قَالَتْ مَحْزُونَةً لِبِنْتِهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «جَهَدْنِي الْمَرَضُ. اشْتَدَّ بِي النَّقْرُسُ (وَجَعُ الْمَفَاصِلِ). أَعْجَزَنِي عَنِ الْمَشْيِ. لَا بَدَّ لِي مِنَ الرَّاحَةِ — زَمْنَا قَلِيلًا — حَتَّى أَسْتَعِيدَ نَشَاطِي، وَأَسْتَرِدَّ قُوَّتِي عَلَى السَّيْرِ. اذْهَبِي أَنْتِ. إِنِّي لَأَحِقَّةٌ بِكَ بَعْدَ قَلِيلٍ.»

قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «كَلَّا، يَا أُمِّي. لَيْسَ ثَمَّةَ مَا يُعْجِلُنَا. اسْتَرِيحِي كَمَا تَشَائِينِ.

ثُمَّ سِيرِي الْهُوَيْنَى (امْشِي عَلَى مَهَلٍ) وَلَا تَتَعَجَّلِي.»

شَكَرَتْ «عِكْرِشَةُ» لِبِنْتِهَا حُبًّا وَأَدَبًا.

إِسْتَأْنَفَتَا السَّيْرَ (بَدَأَتَا الْمَشْيَ بَعْدَ الْوُقُوفِ). وَصَلَتَا إِلَى الْغَابَةِ.

قَالَتْ «عِكْرِشَةُ» وَهِيَ تَقْضُمُ الْحَشَائِشَ الْيَابِسَةَ (تَكْسِرُهَا بِأَطْرَافِ أَسْنَانِهَا، وَتَأْكُلُهَا): «مَا أَلَدَّ هَذَا الْبَقْلَ وَأَشْهَاهُ!»

الفصل الرابع

سَأَلَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» وَقَدِ اسْتَسَاعَتْهُ (اسْتَعَذَبَتْهُ وَاسْتَحَلَّتْ أَكْلَهُ)، وَأَقْبَلَتْ تَقْضُمُهُ فِي ابْتِهَاجٍ وَفَرَحٍ: «مَا اسْمُ هَذَا الْبَقْلِ الشَّهِيِّ، يَا أُمًّا؟»
قَالَتْ «عِكْرِشَّةٌ»: «اسْمُهُ: الْهَنْدَبَاءُ. هُوَ — فِيمَا سَمِعْتُ مِنْ جَدِّي — خَيْرُ دَوَاءٍ يَشْفِي الْمَعْدَةَ مِنْ أَمْرَاضِهَا وَالْأَمْعَاءَ. صَدَقَ جَدِّي. إِنِّي كُلَّمَا أَكَلْتُ هَنْدَبَاءً وَاحِدَةً مِنْ هَذَا الْهَنْدَبَاءِ الْكَثِيرِ، شَعَرْتُ بِنَشَاطٍ عَجِيبٍ. يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّنِي رَجَعْتُ إِلَى شَبَابِي الْآنَ.»



ابْتَهَجَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ». اسْتَوَلَى عَلَيْهَا الْفَرَحُ. قَفَزَتْ حَوْلَ أُمِّهَا مِنْ فَرَطِ السُّرُورِ وَهِيَ تَقُولُ: «يَا لَسَعَادَتِي وَهَنَاتِي! كُونِي عَلَى ثِقَةٍ أَنَّكَ عَلَى وَشِكِ الشِّفَاءِ (أَنَّ الْبُرَّءَ قَرِيبٌ مِنْكَ، سَرِيعٌ إِلَيْكَ)، مَا دُمْتَ تَشْعُرِينَ بِلَذَّةِ الطَّعَامِ، وَتُقْبَلِينَ عَلَيْهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الشَّهِيَّةِ الْعَجِيبَةِ.»

(٣) «ابْنُ وَاِزَعٍ»

لَكِنَّ فَرَحَهَا لَمْ يَطُلْ. حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسَابِ.
كَفَّتْ «عِكْرِشَّةٌ» عَنِ الطَّعَامِ. وَقَفَّتْ عَلَى قَدَمَيْهَا. رَفَعَتْ أُذُنَيْهَا الطَّوِيلَتَيْنِ. صَرَبَتْ الْأَرْضَ بِرِجْلَيْهَا بَغْتَةً.

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

اسْتَوَلَى عَلَيْهَا الرُّعْبُ. صَاحَتْ مَذْعُورَةً: «انْجِي بِنَفْسِكَ، يَا صَغِيرَتِي. آه ... أَسْرِعِي
بِالْفِرَارِ ... إِنَّهُ «ابْنُ وَازِعٍ» بَعَيْنِهِ.. رَبَاهُ ... هَلَكْنَا جَمِيعًا»
لَمْ تَكُنْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» قَدْ رَأَتْ — فِي حَيَاتِهَا — كَلْبًا قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ. أَيَقْنَتْ أَنَّ
ذَلِكَ — بِلَا شَكٍّ — عَدُوٌّ خَطِرٌ شَرِيرٌ. لَوْلَا ذَلِكَ لَمَا فَزَعَتْ أُمُّهَا لِرُؤُوسِهِ.
صَاحَتْ «عِكْرَشَةُ» مَرَّةً أُخْرَى: «إِلَى الْجُحْرِ ... إِلَى الْجُحْرِ، يَا عَزِيزَتِي. لَا تُعْنِي
بِأَمْرِي ... أَسْرِعِي، يَا صَغِيرَتِي. إِنِّي أَسْمَعُ نُبَاحَ «ابْنِ وَازِعٍ» الْخَبِيثِ ... أَظُنُّهُ يَقْتَرِبُ ...
أَسْرِعِي! ... أَسْرِعِي!»
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «كَلَّا، لَا سَبِيلَ إِلَى تَرْكِكِ وَحِيدَةً. هَلُمَّ مَعِي، يَا أُمِّي الْعَزِيزَةَ.
اعْتَمِدِي عَلَيَّ هَكَذَا ... تَشَجَّعِي، يَا أُمًّا. إِنَّ الْجُحْرَ مِنَّا قَرِيبٌ.»
جَاءَ الْكَلْبُ نَابِحًا عَادِيًا (مُسْرِعًا فِي الْجَزْيِ) فِي مِثْلِ سُرْعَةِ الرِّيحِ.
أَسْرَعَتْ «عِكْرَشَةُ» فِي سَرِيرِهَا، عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهَا. لَكِنَّ «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ» تَوَسَّلَتْ إِلَيْهَا
أَنَّ تَضَاعَفَ مِنْ سُرْعَتِهَا.



قَالَتْ لَهَا وَهِيَ تَشْجَعُهَا: «هَلْمِي ... أَسْرِعِي، يَا أُمَّهُ. لَمْ يَبْقَ عَلَيْنَا إِلَّا قَفْزَتَانِ ...
وَصَلْنَا. شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نَجَاتِنَا مِنْ ذَلِكَ الْخَطَرِ الدَّاهِمِ.»

(٤) بَعْدَ الْعُودَةِ

كَانَ الْجُهْدُ وَالْإِعْيَاءُ (التَّعَبُ وَالْكَلالُ) قَدْ أَضْنَيَا «عِكْرِشَةَ» (جَهْدَاهَا وَهَزَلَا جِسْمَهَا).
ارْتَمَتْ فِي جُحْرِهَا خَائِرَةَ الْقُوَى. بَقِيَتْ سَاكِنَةً لَا حِرَاكَ بِهَا. جَزَعَتْ «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ».
اشْتَدَّ خَوْفُهَا عَلَى أُمَّهَا. حَسِبَتْهَا مَاتَتْ. صَاحَتْ مَدْعُورَةً: «أُمِّي! ... أُمِّي!»

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

فَتَحَتِ «عِكْرِشَةَ» الْمَرِيضَةَ عَيْنَيْهَا. اطْمَأَنَّتْ عَلَيْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ». أَسْرَعَتْ إِلَيْهَا
تَلْحَسُ جِسْمَهَا مُتَوَدِّدَةً مُتَلَطِّفَةً.
لَمْ تَلْبَثْ «عِكْرِشَةَ» أَنْ اسْتَعَادَتْ قُوَّتَهَا، وَرَجَعَتْ نَشَاطَهَا.

(٥) مُطَارَدَةُ الْكِلَابِ

سَأَلْتُهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «أَيُّ عَدَاءٍ وَخُصُومَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْكِلَابِ؟ مَا بَالُهَا تُطَارِدُنَا عَلَى
غَيْرِ جَرِيرَةٍ (دُونَ ذَنْبٍ، وَبِلَا جَرِيمَةٍ) أَسْلَفْنَاها، وَلَا إِسَاءَةٍ قَدَّمْنَاها؟»
قَالَتْ «عِكْرِشَةُ»: «إِنِّي قَاصَّةٌ عَلَيْكَ — يَا عَزِيزَتِي — سَبَبَ مُطَارَدَةِ الْكِلَابِ إِيَّانَا. أَلَا
تَعْرِفِينَ النَّاسَ؟

لَقَدْ أَرَيْتُكَ وَاحِدًا مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ.
مَا أَحْسَبُكَ نَسِيتَ ذَلِكَ الْعِمْلَاقَ (الطَّوِيلَ جِدًّا) الَّذِي يَمْشِي مُسْتَوِيًّا عَلَى سَاقَيْنِ، كَمَا
يَمْشِي الْأَرْنَبُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَطَرَّفَ فِي مَشِيَّتِهِ.
حَدَّثَنِي أَبُوكَ أَحَادِيثَ طَرِيفَةً عَنِ الرِّجَالِ وَالْكِلابِ. لَقَدْ عَاشَ مَعَهُمْ وَمَكَتَ بَيْنَ
ظَهْرَانِيهِمْ — كَمَا أَخْبَرْتِكَ — رَدْحًا مِنَ الزَّمَنِ (وَقْتًا طَوِيلًا).

(٦) لَحْمُ الْأَرْنَبِ

عَلِمْتُ مِنْهُ مَا لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ. هَلْ تَعْرِفِينَ مَاذَا يَطْعَمُ النَّاسُ؟»
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «لَعَلَّهُمْ يَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ، وَالسَّعْتَرِ، وَالْبُرْسِيمِ، وَمَا إِلَيْهَا مِنْ
حَشَائِشِ الْأَرْضِ!»
قَالَتْ «عِكْرِشَةُ»: «كَلَّا، يَا عَزِيزَتِي! النَّاسُ لَا يَأْكُلُونَ الْحَشَائِشَ الَّتِي نَأْكُلُهَا. لَكِنَّهُمْ
يَطْعَمُونَ لَحْمَ الْحَيَّوَانِ.

تَأَكَّدُ لِي — مِمَّا قَالَهُ أَبُوكَ «الْحَزْرُ» — أَنَّ لَحْمَ الْأَرْنَبِ هُوَ أَفْخَرُ طَعَامٍ عِنْدَهُمْ. أَلَمْ
أَحَدِّثْكَ أَنَّ أَبَاكَ «الْحَزْرَ» هَرَبَ مِنْ بَيْتِ زَارِعٍ؛ لِأَنَّهُ رَأَى أَرْنَبًا مَذْبُوحًا؟»
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «ذَكَرْتُ الْآنَ ذَلِكَ الْحَدِيثَ الْغَرِيبَ!»

(٧) كَلْبُ الصَّيْدِ

اسْتَأْنَفْتُ «عِكْرِشَةَ» قَائِلَةً: «لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَمَالِقَةِ (الطَّوَالِ جِدًّا) سَاقَانِ طَوِيلَتَانِ. لَكِنَّهُنَّ — عَلَى سَوْقِهِمُ الطَّوِيلَةَ — لَا يَسْتَطِيعُونَ الْجَرْيَ فِي مِثْلِ خِفَّتِنَا. لَوْ اِقْتَصَرَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، لَعِشْنَا وَادِعِينَ آمِنِينَ، فِي الْخَلَاءِ مُسْتَرِحِينَ. لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْعَمَالِقَةَ يَسْتَعْدُونَ عَلَيْنَا (يُبَيِّرُونَ وَيَهَيِّجُونَ) خَدْمَهُمْ مِنَ الدَّوَابِّ الْأُخْرَى الَّتِي تَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ.

هَؤُلَاءِ الْخَدَمُ يَرْتَادُونَ (يَقْصِدُونَ) الْأَرْضِي الْمُوَزَنَبَةَ (الَّتِي تَكْتُرُ فِيهَا الْأَرَانِبُ): يَشْمُونَ رَائِحَتَنَا مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ. يُسْرِعُونَ إِلَيْنَا — عَدْوًا (جَرِيًّا) — حَتَّى يَظْفَرُوا بِنَا، فَيَقْدُمُونَا إِلَى سَادَتِهِمُ الْإِنْسَائِيِّ لَقَمًا سَائِغَةً.

«ابْنُ وَازِعٍ» — ذَلِكَ الْكَلْبُ الَّذِي رَأَيْتَهُ بِعَيْنَيْكَ — هُوَ خَادِمٌ مِنْ خَدَمِ أَوْلِيكَ الْعَمَالِقَةَ. إِنَّمَا اخْتَارُوهُ لِصِدْقِنَا وَالْفَتْكِ بِنَا، لِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ قُدْرَةٍ عَجِيبَةٍ عَلَى السَّبَاقِ وَالْعَدْوِ. أَعْرِفْتِ السَّرَّ فِيمَا حَدَثَ لَنَا مَعَهُ الْيَوْمَ؟»
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «أَوْه! فَهَمْتُ كُلَّ شَيْءٍ، يَا أُمِّي. لَسْتُ أَكْتُمُ مَا بَعَثَهُ «ابْنُ وَازِعٍ» مِنَ الرُّعْبِ فِي قَلْبِي، حِينَ دَوَى (عَلَا وَاشْتَدَّ) نُبَاحُهُ الْمُفْزِعُ فِي أُذُنِي.»

(٨) جِلْدُ الْأَرْنَبِ

قَالَتْ «عِكْرِشَةُ» وَهِيَ تَلْحَسُ شَعْرَ ابْنَتِهَا الْأَبْيَضِ الْجَمِيلِ: «حَدَّثْتُكَ أَنَّ النَّاسَ يَطْعُمُونَ لَحْمَنَا. هَلْ عَرَفْتِ، يَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»، مَاذَا يَصْنَعُونَ بِجِلْدِنَا — مَعَشَرَ الْأَرَانِبِ — بَعْدَ أَنْ يَأْكُلُوا لَحْمَنَا الشَّهِيَّ؟ إِنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ مِنْ جِلْدِنَا — كَمَا يَتَّخِذُونَ مِنْ جِلْدِ ابْنِ عَمَّنَا «الْأَرْنَبِ الْبُرِّيِّ» — قَلَانِسَ (أَعْطِيَهُ لِرُءُوسِهِمْ) فِي الشِّتَاءِ، فَيَتَّقُونَ بِهَا بَرْدَهُ الْقَارِسِ (الْقَوِيِّ الْعَنِيفِ).»

غَضِبَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» قَائِلَةً: «يَا لَهُ نَبَأٌ هَائِلًا، يَا أُمَاهُ! فَلْنَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى أَنْ مَنَحَكَ أُذُنَيْنِ سَمِيعَتَيْنِ لَوْلَا يَقْظَتُكَ وَانْتِبَاهُكَ، لِأَصْبَحْنَا فِي قَبْضَةِ أَوْلِيكَ الْعَمَالِقَةَ.»

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

قَالَتْ «عِكْرِشَةُ»: «إِنَّهُمْ — لِفِرَطٍ إِعْجَابِهِمْ بِجَمَالِ فَرُونََا — يُطْلِقُونَ عَلَى بَعْضِ ثِيَابِهِمْ اسْمَ: النَّيَابِ الْمُرَنْبَانِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَخْلُطُونَ عَزْلَهَا بِشَعْرِنَا.»

(٩) هَدِيَّةُ «الْحَزْنِ»

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، سَمِعْنَا ضَجَّةً كَبِيرَةً بِالْقُرْبِ مِنْ مَكُوْهِمَا (الْجُحْرِ الَّذِي تَسْكُنُهُ الْأُسْرَةُ الْأَزْنَبِيَّةُ)؛ فَعَلِمْنَا أَنَّ الْأُسْرَةَ قَادِمَةٌ إِلَيْهِمَا مِنْ رَحْلَتِهَا ... وَقَدْ اسْتَقْبَلَتَاهَا — حِينَئِذٍ — فَرَاتًا أَمَارَاتِ الْفَرَجِ بَادِيَةً عَلَى وَجْهِ «الْحَزْنِ» وَأَوْلَادِهِ.
قَرَّ قَرَارُهُمْ. قَالَ «الْحَزْنُ»: «مَا كَانَ أَسْعَدَهَا لَيْلَةً، وَالَّذِي طَعَامًا! لَقَدْ جِئْتُكُمَا بِشَيْءٍ مِنَ الْبُرْسِيمِ، لِتُشْرِكَنَا فِي هَذَا الطَّعَامِ السَّائِغِ الْهَبِيءِ.»

خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

حَدَقَ «الْحَزْنُ» فِيهِمَا بُرْهَةً (زَمَنًا طَوِيلًا)، ثُمَّ قَالَ مَدْعُورًا: «يَلُوحُ (يُظْهِرُ) لِي أَنَّ حَادِثًا أَلَمَ بِكُمَا؛ فَإِنِّي أَرَى أَمَارَاتِ الْحَزْنِ مُرْتَسِمَةً عَلَى وَجْهِكُمَا!»
قَصَّتْ «عِكْرِشَةُ» عَلَيْهِ ذَلِكَ الْحَادِثَ الرَّاعِبَ الْمَرْهُوبَ الَّذِي عَرَضَ لَهُمَا.
كَانَتِ الْأَرَانِبُ الصَّغَارُ جَالِسَةً تُنصِتُ إِلَى حَدِيثِ «عِكْرِشَةَ» — فِي صَمْتٍ وَدَهْشَةٍ — وَأَذَانُهَا مُنْتَصِبَةٌ مُمْتَدَّةٌ إِلَى الْأَمَامِ، وَأَذْنَابُهَا مُرْتَفَعَةٌ.
لَمَّا انْتَهَى حَدِيثُ «عِكْرِشَةَ» أَقْبَلَ عَلَيْهَا بَنُوْهَا وَيَبْنَتَاهَا يَلْحَسُونَ أَعْيُنَ أُمَّهُمُ الْعُجُوزِ الرَّءُومِ، وَأَخْتَهُمُ الصَّغِيرَةَ الْجَمِيلَةَ «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ».



أُمُّ الصَّبِيَّانِ

فِي سَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ
مُهَذَّبًا طَبَعُهَا، أَلِيْفَهُ
وَأَلْفًا - بِالْوَدَادِ - عُصْبَهُ
وَصَوْتُهَا مُنْكَرٌ قَبِيْحٌ
لِمَصْدَرِ الصَّوْتِ جِيْنَ دَوَى

عَاشَ - مِنَ الْجِنَّ - تَابِعَانِ
وَصَاحِبًا بَوْمَةً ظَرِيْفَهُ
عَاشَتْ وَعَاشَا فِي خَيْرِ صُحْبِهِ
وَذَاتَ يَوْمٍ ظَلَّتْ تَصِيْحُ
فَأَقْبَلَ التَّابِعَانِ تَوًّا

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

وَدَانِيَاهَا مُسْتَعَجِبِينَ وَسَالَاهَا مُسْتَفْسِرِينَ:
«مَا بَالُ أُمَّ الصَّبِيَّانِ تَعْوِي؟»

قَالَتْ:

«مِنَ الْجُوعِ كِدْتُ أَذْوِي!
لَا حَشْرَاتٍ فِي أَيِّ وَايِي وَلَا بَعُوضٌ يَكُونُ زَادِي
ظَلِلْتُ لَيْلِي، وَلَيْلَ أَمْسِ، بَاحِثَةً عَنِ بَنَاتِ عُرْسِ
أَوْ فَارَةَ تَغْتَدِي طَعَامِي أَوْ جُرَذٍ ضَلَّ فِي الظَّلَامِ
أَوْ أَرْنَبٍ - فِي الحُقُولِ - يَجْرِي أَوْ طَائِرٍ - فِي الهَوَاءِ - يَسْرِي
عَزَّتْ جَمِيعًا، وَعَيْلَ صَبْرِي وَضُقْتُ نَزْعًا، وَضَاقَ صَدْرِي!»

قَالَ لَهَا التَّابِعَانِ:

«صَبْرًا، فَلَيْسَ يُجْدِي العَوِيلُ أَمْرًا،
وَلَيْسَ يُغْنِي بُكَاءُ بَاكِي،
فَضَاعِفِي الجِدِّ وَالرَّجَاءِ
فَالجِدُّ بِالحَازِمِينَ أَجْدَى
وَالصَّبْرُ أَوْلَى بِهِمْ وَأَهْدَى
وَالنَّدْبُ وَالْحُزْنُ وَالنُّوْحُ!»

أعلام الحيوان

«تُنْتَبِتُ فِي هَذَا الْمُعْجَمِ الصَّغِيرِ طَائِفَةٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْحَيَوَانِ وَكُنَاهُ وَالْقَابَهُ، لِيَرْجَعَ إِلَيْهَا
الْمُدْرَسَ عِنْدَ الْحَاجَةِ»

(أ)

ابْنُ عَرِسٍ: السُّرْعُوبُ

أَبُو فَصَادَةَ: الذُّعْرَةُ: أُمُّ عَجَلَانَ

الْأَتَانُ: أُمُّ الْهَنْبَرِ: أُمُّ تَوْلَبَ

الْأَرْزَبُ: أَبُو نَبْهَانَ: الْخُرْزُ: الْخَزْنِقُ (وَالْخَزْنِقُ الْفَتْيُ مِنَ الْأَرَانِبِ)

الْأَرْزَبَةُ: عَكْرَشَةُ

الْأَسَدُ: أَبُو الْأَمْنِ: أَبُو فِرَاسٍ

أُمُّ عُوَيْفٍ: أُمُّ حُبَيْنَ: دُوَيْبَةُ صَغِيرَةٌ ضَخْمَةُ الرَّأْسِ، مُخْضَرَّةٌ، لَهَا ذَنْبٌ طَوِيلٌ، وَأَرْبَعَةٌ

أَجْنَحَةٌ، إِذَا رَأَتْ الْإِنْسَانَ قَامَتْ عَلَى ذَنْبِهَا، وَنَشَرَتْ أَجْنَحَتَهَا، وَهِيَ لَا تَطِيرُ. وَيُقَالُ لَهَا

«نَاشِرَةٌ بُرْدِيهَا» يَلْعَبُ بِهَا الصَّبِيَانُ وَيَقُولُونَ لَهَا:

تُمَّتْ طِيرِي بَيْنَ صَحْرَاوَيْكَ

بِحَيْشِهِ وَنَاطِرُ إِلَيْكَ

أُمَّ عُوَيْفٍ أَنْشَرِي بُرْدِيكَ

إِنَّ الْأَمِيرَ خَاطِفٌ بِنْتَيْكَ

(ب)

الْبَارِزِي: أَبُو الْأَشْعَبِ

الْبُرْص: أَبُو بُرَيْص: سَامٌ أَبْرَص: أَبُو سَلْمَى: أَبُو سَلْمَانَ

الْبُرْعُوث: أَبُو طَاهِر

البطة: أم حَفْصَة (تَقُولُ: هَذَا بَطَّةٌ، وَهَذِهِ بَطَّةٌ، كَمَا تَقُولُ: هَذَا بَقْرَةٌ، وَهَذِهِ بَقْرَةٌ، لِتَعْيِينِ

الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ)

البغل: أَبُو الْأَخْطَلِ

البقرة: الْجُوذُرَةُ: الْخَنَسَاءُ (بَقْرَةٌ مُعْجَلٌ: ذَاتُ عِجَلٍ)

الْبُومَةُ: أُمُّ الْخَرَابِ: أُمُّ الصَّبِيَّانِ: عُرَابُ اللَّيْلِ

(ت)

التَّيْسُ: أَبُو بَجِيرٍ

(ث)

التُّغْلَبُ: أَبُو الْحُصَيْنِ: التُّغْلَبَانُ (أُنثَاهُ: تُغَالٌ. وَوَلَدُهُ: الْهَجْرِسُ)

التُّورُ: أَبُو زَرْعَةَ: أَبُو فَرْقَدٍ: الْأُحْنَسُ (أُنثَاهُ الْخَنَسَاءُ)

(ج)

الْجَامُوسُ: أَبُو الْعَرْمَضِ

الْجَحْشُ: التَّوَلْبُ

الْجَدْعُ: التَّيْسُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ

الْجَرَادُ: أَبُو قَيْسٍ: أَبُو عَوْفٍ: الْعُنْظُبُ: الْعُنْظُوبُ (أُنثَاهُ، الْعُنْظَوَانَةُ، وَوَلَدُهُ السَّرْوَةُ)

الْجَفْرُ: وَلَدُ الْمِعْرَى بَعْدَ مَا يُفْطَمُ (جَمْعُهُ: جَفَارُ)

الْجَمَلُ: أَبُو أَيُّوبٍ (الْجَمَلُ ذُو السَّنَامَيْنِ: الْقِرْعَوْشُ، وَالْفَلَجُ)

(ح)

الْحِدَاةُ: أَبُو الْخَطَافِ

الْحِصَانُ: لَاحِقُ (أُنْتَاهُ الْحَجْرُ، وَوَلَدُهُ الْمُهْرُ)

الْحَضِيرَةُ: الزَّرِيْبَةُ: الْمَعِطُنُ: الْعَطْنُ: الْمَرِيضُ: الْكِنَاسُ: الْإِصْطَبَلُ

الْحُلَانُ: الْجَدِي الَّذِي يُشَقُّ عَنْهُ بَطْنُ أُمِّهِ

الْحِمَارُ: ابْنُ الْمَرَاغَةِ: أَبُو زِيَادٍ: أَبُو صَابِرٍ

الْحِمَارَةُ: أُمُّ تَوْلَبٍ: أُمُّ وَهَبٍ: أُمُّ نَافِعٍ

الْحَمَامُ: أَبُو النَّظِيفِ (أُنْتَاهُ عِكْرِمَةُ، وَوَلَدُهُ: مَجُّ: بُحُّ: عَزْهَلُ)

الْحَيَّةُ: بِنْتُ الدَّوَاهِي

الْحَيُوتُ: أُنْتَاهُ الْحَيَّةُ

(خ)

الْخَنْزِيرُ الْبَرِّيُّ: الْعِفْرُ: أَبُو جَهْمٍ: أَبُو دَلْفٍ (وَلَدُهُ الْخَنْوُصُ)

(د)

الدُّبُّ: أَبُو جُهَيْنَةَ (وَلَدُهُ الدَّيْسَمُ)

الدَّيْكُ: أَبُو يَقْطَانَ (أُنْتَاهُ: الدَّجَاجَةُ، وَابْنُهُ: الْبِرْنِيُّ، وَبِنْتُهُ: الْفَرُوجَةُ)

(ذ)

الدُّثْبُ: أَبُو جَعْدَةَ: عَسَعَسَ (أُنْتَاهُ: جَهِيْزَةٌ)

(ر)

الرَّبْرَبُ: جَمَاعَةُ الْبَقَرِ

الرَّخْلَةُ: الْأُنْتَى مِنَ الْحَمَلَانِ

الرَّحْمُ: الْعُدْمَلُ (أُنْتَاهُ الرَّحْمَةُ، أَوْلَادُهُ: النَّقَانِقُ)

الرَّقْشَاءُ: الْعَنْزُ السَّوْدَاءُ الْمُنْقَطَةُ بِيَاضٍ

(ز)

الزَّرَاقَةُ: أُمُّ عَيْسَى

(س)

السَّخْلَةُ: وَلَدُ الْمَاعِزِ سَاعَةً وَضَعِهِ (جَمْعُهُ: سَخَالُ)

السَّرَطَانُ: أَبُو بَحْرِ

السَّلْحَفَاءُ: بِنْتُ طَبِقٍ

السَّمَكُ: أَبُو الْعَوَامِ: بِنْتُ رِجْلَةٍ

(ش)

السَّاءُ: أُمُّ الْأَشْعَثِ (أَرْضُ مَشَاهَةٌ: ذَاتُ شَاءٍ)

(ض)

الضَّبُّ: أَبُو حَسِلٍ

الضَّبْعُ: أُمُّ قَشْعَمَ

الضُّفْدِيعُ: الْعُلْجُومُ: أَبُو هُبَيْرَةَ: الْقُرَّةُ: الْعُدْمُولُ: النَّقَاقُ

الضُّفْدِيعُ الصَّغِيرُ: الشَّرْعُ

الضُّفْدِيعَةُ: أُمُّ هُبَيْرَةَ: الْهَاجَةُ (وَيُسَمَّى بَيضُهَا: الْقُرَّةُ)

(ط)

الطَّائِوُسُ: أَبُو الْحُسَيْنِ

الطَّيُّبِيُّ: وَلَدُ الشَّاةِ أَوَّلَ مَا يَسْقُطُ (جَمْعُهُ: طَلْيَانُ)

(ظ)

الظَّبْيَةُ: أُمُّ حِشْفٍ: أُمُّ عَزَّةَ (الْحِشْفُ: وَلَدُهَا. عَزَّةُ: بِنْتُهَا)

(ع)

الْعُقَابُ: الْعَرَنُ (أُنثَاهُ: الْقَنَوَاءُ، وَوَلَدُهُ النَّاهِضُ)

الْعُقْرَبُ: الْعُقْرَبَانُ (أُنثَاهُ: عَقْرَبُ: أُمُّ عَرِيْطٍ، وَوَلَدُهُ الْفِصْعَلُ)

الْعُنْكَبُ: أَبُو حَيْثَمَةَ: أَبُو قَشْعَمَ: الْعَكَاشُ: الرُّتَيْلَاءُ

الْعُنْكَبَةُ: أُمُّ قَشْعَمَ: الْعُنْكَبُوتُ

(غ)

الْغَرَابُ: ابْنُ دَائِيَّةَ
الْغَزَالُ: أَبُو الْحُسَيْنِ

(ف)

الْفَأْرُ: أَبُو أَدْرَاصِ
الْفَأْرَةُ: أُمُّ رَاشِدِ
الْفَرَسُ: أَبُو الْمَضَاءِ
الْفَهْدُ: أَبُو حَيَّانِ
الْفَيْلُ: كَثُومُ: أَبُو الْحَجَّاجِ: أَبُو الْحَرَمَانِ: أَبُو دَعْفَلٍ: أَبُو كَثُومِ: أَبُو مُزَاحِمٍ (وَأُنْتَاهُ:
عَيْنُومِ)

(ق)

الْقَرْدُ: الرَّبَّاحُ (أُنْتَاهُ الدَّحِيَّةُ، وَوَلَدُهُ الْقَشَّةُ)
الْقِطُّ: أَبُو خِدَاشِ
الْقَطَا: الْيَعْقُوبُ (أُنْتَاهُ قَطَاةٌ، وَوَلَدُهُ النَّهَارُ)
الْقَمَلَةُ: أُمُّ طَلْحَةَ
الْقَهْبُ: الْأَبْيَضُ مِنْ أَوْلَادِ الْبَقْرِ. الْمَارِي: الْجُودُ

(ك)

الْكَبِشُ: الشَّقْحَطْبُ (وَهُوَ اسْمُ الْكَبِشِ لَهُ قَرْنَانِ أَوْ أَرْبَعَةٌ، كُلُّ مِنْهَا كِشْقٌ حَطْبٍ)

الْكُرْكِيُّ: أَبُو نَعِيمٍ

الْكِرْوَانُ: الطَّرِيقُ (وَلَدُهُ: اللَّيْلُ) (جَمْعُهُ: كِرْوَانٌ، وَكِرَاوِينُ)

الْكَلْبُ: ابْنُ وَازِعٍ: أَبُو خَالِدٍ: وَاشِقُ (أُنْثَاهُ: بَرَاقِشٌ، وَوَلَدُهُ: قَطْرُبٌ)

الْكَلْبَةُ: أُمُّ يَعْفُورٍ

(ل)

اللَّبْوَةُ: أُمُّ شَيْلٍ

اللِّيَاخُ: الثَّوْرُ الْأَبْيَضُ

(ن)

النَّاقَةُ: أُمُّ حَوَا: بِنْتُ الْبَيْدِ

النَّحْلُ: الثَّوْلُ (أُنْثَاهُ: النَّحْلَةُ، وَوَلَدُهُ: الرَّصَعَةُ)

النَّسْرُ: أَبُو الْأَبْدِ: الضَّرِيكُ (أُنْثَاهُ: الْعِترَةُ، وَوَلَدُهُ: الْهَيْئَمُ)

النَّعَامَةُ: أُمُّ الْبَيْضِ

النَّعْجَةُ: أُمُّ فَرْوَةَ: الطُّوبَالَةُ

النَّمْرُ: أَبُو جَهْلٍ

النَّمْسُ: الدَّقُّ

النَّمْلَةُ: أُمُّ مَازِنٍ: أُمُّ مَشْعُولٍ: بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ

(هـ)

الْهَدُّهُدُ: أَبُو الْأَخْبَارِ

الْهَرُّ: مُحَايِشُ (وَلَدُهُ: الدَّرُّصُ)

(و)

الْوَزُّ: أَبُو زَفِيرٍ: أَبُو زُفَيْرٍ

الْوَزْعُ: أَبُو سَلْمَانَ

أُسْرَةُ الْحَيَوَانِ

الْأَرْزُبُ

اسْمُهُ: الْخَزْرُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو نَبَّهَانَ

أُنثَاهُ: عَكْرِشَةُ

وَلَدُهُ: الْخَرِيْقُ

التَّوْرُ

أُنثَاهُ: الْبَقْرَةُ

لَقَبُ التَّوْرِ: الْأَحْنَسُ

لَقَبُ الْبَقْرَةِ: الْخَنْسَاءُ

الْبِطُّ

اسْمُهُ: الْعُلْجُومُ

أُنثَاهُ: الْبِطَّةُ

كُنْيَتُهُ: أُمُّ حَفْصَةَ

التُّعْلَبُ

اسْمُهُ: التُّعْلَبَانُ

أُنثَاهُ: تُعَالُ، أَوْ: تُعَالَةٌ

وَلَدُهُ: الْهَجْرِسُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو الْحُصَيْنِ

الْجَرَادُ

اسْمُهُ: الْعُنْظُبُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو قَيْسٍ، وَأَبُو عَوْفٍ

أُنثَاهُ: الْعُنْظَوَانَةُ

ولده: السَّرْوَةُ

الْحَمَامُ

أُنثَاهُ: عِكْرِمَةٌ

وَلَدُهُ: مُجٌّ. بُجٌّ. عَزْهَلٌ

كُنْيَتُهُ: أَبُو النَّظِيفِ

الْحَيَّاتُ

أُنثَاهَا: الْحَيَّةُ

رَوْجُهَا: الْحَيُّوتُ

الْخَنْزِيرُ

اسْمُهُ: الْعِفْرُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو دَلْفٍ، وَأَبُو عُقْبَةَ

وَلَدُهُ: الْخَنْوُصُ

الدَّجَاجُ

زَوْجُهَا: الدَّيْكُ، الْعُتْرُقَانُ

الْأُنثَى: الدَّجَاجَةُ

ابْنُهَا: الْبَرْنِيُّ

بِنْتُهَا: الْفَرُوجَةُ

كُنْيَةُ الدَّيْكِ: أَبُو يَقْظَانَ

الدَّبُّ

اسْمُهُ: عَسَعَسُ

أُنثَاهُ: جَهِيرَةٌ

كُنْيَتُهُ: أَبُو جَعْدَةَ

الرَّحْمُ

اسْمُهُ: الْعَدْمُلُ

أُنثَاهُ: الرَّحْمَةُ

أَوْلَادُهُ: النَّقَانِقُ

الْعُقَابُ

اسْمُهَا: الْعَرَنُ

أُنثَاهَا: الْقَنَوَاءُ

وَلَدُهَا: النَّاهِضُ

الْعُقْرَبُ

إِنَاتُهَا: الْعُقْرَبُ

نُكُورُهَا: الْعُقْرَبَانُ

أَوْلَادُهَا: الْفُصْعُلُ

الْعُنْكَبُوتُ

اسْمُهَا: الْعَكَاشُ

أُنثَاهَا: الْعُنْكَبُوتُ، أَوْ: الْعُنْكَبَةُ

كُنْيَتُهَا: أَبُو حَيْثَمَةَ

الْفَيْلُ

اسْمُهُ: كَلْتُومُ

أُنثَاهُ: عَيْنُومُ

وَلَدُهُ: الدَّعْقَلُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو الْحَجَّاجِ

الْقِرْدُ

اسْمُهُ: الرَّبَّاحُ

أُنثَاهُ: الدَّحِيَّةُ

وَلَدُهُ: الْقَشَّةُ

الْقَطَا

مِنْ أَسْمَائِهِ: الْيَعْقُوبُ

أُنثَاهُ: قَطَاةٌ

وَلَدُهُ: النَّهَارُ

الْكِرْوَانُ

اسْمُهُ: الطَّرِيقُ، أَوْ: الطَّرِيقُ

وَلَدُهُ: اللَّيْلُ

الْكَبُ

مِنْ أَسْمَائِهِ: وَاشِقُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو خَالِدٍ

أُنثَاهُ: بَرَاقِشُ

وَلَدُهُ: قُطْرُبُ

النَّسْرُ

اسْمُهُ: الضَّرِيكُ

أُنثَاهُ: الْعِترَةُ

وَلَدُهُ: الْهَيْئِمُ

النَّحْلُ

اسْمُهُ: النَّوْلُ

أُنثَاهُ: النَّحْلَةُ

وَلَدُهُ: الرَّصَعَةُ

الْقِطُّ

اسْمُهُ: مُحَايشُ

أُنثَاهُ: سَنُورَةُ

وَلَدُهُ: الشُّبْرُقُ